نادي المنطقة الشرقية الأدبي

لسان العرب

أبو فراس الحمداني

في رومياته



تأليف / د. خالد بن سعود الحليبي

أبو فراس الحمداني

في رومياته

دراسة موضوعية وفنية

تأليف

د. خالد بن سعود الحليبي

إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي

ح نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحليبي ، خالد بن سعود
أبو فراس الحمداني في رومياته. / خالد بن سعود الحليبي.
الدمام ، ١٤٢٨هـ
٢١٢ ص : ١٧x٢٤ سم
ردمك : ٢-٤٠-٧٣٦-٩٩٦٠-٩٧٨

١- أبو فراس الحمداني في رومياته ، ت ٣٥٧ ٢- الشعر العربي - نقد - العصر الحمداني أ. العنوان
ديوي ٨١١,٧٢٠٠٩ ١٤٢٨ / ٧٨٥٥

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أستاذي الكبير . . .

أ . د . عبدالقدوس أبو صالح

الذي أحب في (أبي فراس) شجاعته وفنه . .

وفاءً من تلميذك / خالد

مُقَدِّمَة

لشعر (أبي فراس الحمداني) مكانة مرموقة في الشعر العربي كلـه، ولا سيما (رومياته) التي صدح بها وزأر وهو أسير أعدائه، لما تمتاز به من موضوعات فريدة، ومعانٍ مبتكرة ، وعاطفةٍ جياشة.

و لم تزل بعض أبياتها تلامس سمع الزمان وقلبه منذ أن فاض بها لسان أبي فراس وجنانه حتى يومنا هذا ، ومع ذلك لم تحظ بدراسة منفردة ، وإنما جاءت ضمن بحوثٍ عامة للعصر العباسي أو لصاحبها أو لظواهر مختلفة كالغربة وشعر السجون والأسر ونحو ذلك . فجاءت هذه الدراسة محاولة لاستجلاء جمالياتها الموضوعية والفنية.

وقد سرت في هذا البحث على منهج جمعت فيه بين دراسة حياة الشاعر من جانب ، ودراسة الروميات من جانب آخر ، وأهملت دراسة عصر الشاعر ، لشيوع الدراسات فيه ، وكثرتها ، ولقصور هذا البحث عن استيعابها ، بينما تعرضت لبيئة الشاعر الخاصة التي نشأ فيها فأثَّرت في شعره ، وذلك بإيجاز ضمن دراسة حياته .

في القسم الأول: وهو (حياة الشاعر) استوحيت عناوين مباحثه من خلال أبرز مظاهر حياة الشاعر ، **فالمبحث الأول** بعنوان : (الغلام اليتيم) ذكرت فيه نسبه، وتعرضت بإيجاز لوالده ووالدته فيما يتعلق بنسبه وتأثيرهما في بناء شخصيته ، وذكرت مولده وشيئاً عن نشأته في (منبج) وأثر ذلك كله في شعره ، ثم أشرت إلى تشيعه لارتباطه بتكوين ثقافته وأثره في الروميات .

والمبحث الثاني بعنوان (الفارس الشاعر) أشرت فيه إلى ما اشتهر به من فروسية وشجاعة وحاولت أن أتلمس سمات شجاعته من خلال شعره .

ثم ذكرت آراء بعض النقاد من القدماء والمحدثين في شاعريته الفذة .

وفي **المبحث الثالث** وهو بعنوان (الأسد الأسير) ذكرت قصة الأسر والفداء ثم وفاة الشاعر .

ولعل الصعوبة التي واجهتني في دراسة حياته هي أن الشاعر قد أُهمل في كتب التراجم والسير والتاريخ إلا في النادر القليل منها، فأي مرجع تاريخي لا يزيد عن صفحتين أو ثلاث ؛ يتحدث فيها عن سنة مولده أو وفاته ، وقصة أسره وفدائه ، فصرت ألملم شعث تلك الروايات المختلفة المبعثرة ، وأوفق بينها لأخرج بصورة مقبولة لأهم الأحداث في حياة الشاعر ، مستعيناً بإشارات (أبي فراس) في شعره .

وفي **القسم الثاني**: مهدت لدراسة الروميات ، بذكر سبب تسميتها، وأشرت إلى الصلة الوثيقة بينها وبين نفسية الشاعر ، وأجبت عن سؤال ربما يرد على الأذهان وهو: هل أثَّر الأسر في شعر (أبي فراس) ؟ وختمت هذا التمهيد بتوثيق مصادر الشعر الذي اعتمدت عليه في الدراسة .

ثم تناولت الروميات في محاولة للكشف عن الخصائص الفنية والسمات العامة التي امتازت بها وتشمل الدراسة الموضوعية؛ حيث نقف على الموضوعات التي طرقها الشاعر في رومياته طرقاً خاصاً به، نابعاً من ذاته، والدراسة الفنية التي تُمَيِّزُ أبا فراس من غيره من شعراء زمانه على الأخص الذين تاجروا بالشعر .

والحق : أن " في شعر (أبي فراس) ما في شعر الأقدمين الفحول ، وفيه ما ليس في دواوينهم جميعاً ، فهو يغني عنهم ولا يغنون عنه ، سواء في ذلك هذه التعابير الصادقة ، والتراكيب الواضحة ، واللفظ العذب ، والبيان الطلي ، فليس فيه تكلف لفظي ، ولا إغراب في المعنى ، ولا إبعاد في المحسنات البديعية ، فهو وحي العاطفة والشعور والصراحة ، وهو تاريخ العصر الحمداني ، وسجل لقبيلة (تغلب) ، ويوميات لأفراد الأسرة الحمدانية في حربهم وسلمهم ، في أفراحهم وأحزانهم ،

لم يكتب للناس ، وإنما انطلقت به نفس أبي فراس لأبي فراس "[١] .

لنا جولة في هذه الدراسة مع نفس (أبي فراس) في أسره بين جدران قلعته الموحشة ، نحـــاول أن نتسلل إلى تلك النفس التي لم تنكسر أمام ذل الأسر ، ونسعى لأن نقاسي ما قاساه من آلام وأوصاب ، لتحصل لنا متعة كبرى بأجمل ما قاله ونتذوق شعراً (نسيج وحده) في الشعر العربي كله ، يقول المستشرق (بلاشير) في كتابه عن (المتنبي) : " لقد نظم في الأسر هذه القصائد المعروفة بـــ (الروميات) وهي ببساطتها وتناسقها وما تنبع عنه من إلهام إنساني خالص ، وإحساس ذاتي محض تجعل من أبي فراس شاعراً فريداً في عصره بل في كل عصور الأدب العربي"[٢] .

وقد اعتمدت في دراسة حياة الشاعر على المصادر القديمة ، واستأنست ببعض آراء المحدثين، فمن القديم : تعليقـــات (ابن خالويه) على الديوان ونشوار المحاضرة (للتنوخي) واليتيمة (للثعالبي) وزبدة الحلب في تاريخ حلب (لابن العديم) ووفيات الأعيان (لابن خلكان) وغيرها .

ومن المحدثين كتاب : أبو فراس الحمداني حياته وشعره (للدكتور عبد الجليل حسن) وغيره .

وفي دراسة شعره أفدت من الدراسات الحديثة لأبي فراس ومنها : شاعر بني حمدان للدكتور (أحمد بدوي) وفنـــــون الشعر في مجتمع الحمدانيين للدكتور (مصطفى الشكعة) وغيرهما .

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق د.سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٤م (المقدمة) : ١٨ .

(٢) عن كتاب شاعر بني حمدان للدكتور أحمد أحمد بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٤٩م – ١٩٥٠م : ١٧٣.

أما الديوان : فهو المصدر الأساس الذي استقيت منه شعر (أبي فراس) واستعنت به في جميع أطوار البحث لأنه يصور حياة الشاعر وملامح شاعريته .

وكما ذكرت آنفاً فإن الروميات لم تفرد لها دراسة خاصة بها - حسب علمي - سوى ما خصها به د. عبد الجليل حسن في كتابه الآنف الذكر مما يدعو إلى التوسع في دراستها وإعطائها ما تستحقه من الاهتمام ، وإني لأرجو أن أكون قد سرت في هذا البحث على طريق آمنة أوصلتني إلى الحق ، ولم تندَّ بي عن الصراط السوي والغاية المرجوة .. وأعتذر عن التقصير الوارد .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي "الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح " الذي لم يبخل علي بالتوجيه والإرشاد ، وما هذا البحث إلا نتيجة من نتائج اهتمامه البالغ بي ، فله الشكر والتقدير على كل ما بذل من جهد ونصح ثم على تشجيعه لي أن أطبع البحث والذي أعده شهادة عليا أعتز بها ، كما أشكر كذلك الأستاذ الدكتور عبد الرزاق حسين الذي تفضل بقراءة البحث وإبداء بعض الملاحظات والتوجيهات .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د. خالد بن سعود الحليبي

الرياض : ١٧ / ٧ / ١٤٠٦ هـ .

القسم الأول : حياة الشاعر

(١) الغلام اليتيم

أ – نسبه .

ب – والده .

ج – والدته .

د – مولده ونشأته .

هـ – مذهبه .

(٢) الفارس الشاعر

أ – فارس بني حمدان .

ب – شاعر بني حمدان .

(٣) الأسد الأسير

أ – زمن الأسر وأحداثه .

ب – الفداء .

ج – وفاته .

{ ١ }

الغلام اليتيم

(أ) نسبه :

" هو الحـــارث بن أبي العلاء سعيد بن أحمد بن حمدان بن حمدون بن الحارث ابن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة ابن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن تميم بن تغلب التغلبي "[١] ابن عم ناصر[٢] الدولة وسيف[٣] الدولة

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتـــابكي طبعة مصورة عن دار الكتب – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، تحقيق : جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت ١٩٣٩م ، ١٣٥٨هـــ : ١٦/٤ ، ١٩ .

(٢) "الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي" ، أبو الهيجاء كان صاحب الموصل وما يليها، بقيــت إمارتــه ٣٢ سنة، أصيب بعد موت أخيه سيف الدولة بالسويداء فحجر عليه بنوه في قلعة (أدمشت) فتوفي بها ســنة ٣٥٨هـــ ، بعد سنتين من موت أخيه . الكامل في التاريخ لأبي الحسن المعروف بابن الأثير ، دار صـــادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٦هـــ،١٩٦٦م ، ص ٥٧٩،٥٨٠، الأعلام لخير الـــدين الزركلـــي – دار العلم للملايين ، بيروت ط٤ ، ١٩٧٩، ١٩٥/٢ .

(٣) علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي أبو الحسن الأمير ولد في (ميافرقين) بديار بكـــر سنة ٣٠٣هــــ ملك واسطاً وما جاورها ، ودمشـــق وحلـــــب ، أخبـــاره مـــع الروم كثيرة وكان كثير العطايا مقرباً لأهل الأدب ويقول الشعر الجيد وهو المقصود في روميات أبي فراس توفي سنة ٣٥٦هـــ بحلب . (يتيمــة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي ، شرح وتحقيق د . مفيد قميحة دار الكتب العلميــة – بيروت – لبنان ١٤٠٣هـــ ، ١٩٨٣م: ٨/١ – ٢٢ . زبدة الحلب من تاريخ حلب لهبة الله ابن العديم ، تحقيق سامي الدهان – المطبعة الكاثوليكية – بيروت : ١١١/١ –١٥٢).

ابني حمدان "[١] وكنيته (أبو فراس) وهي كنية الأسد ، وهي من كنى العرب[٢] ، ويكنى بها من تظهر عليه علامات الشجاعة والفروسة ، وقد غلبت هذه الكنية على الحارث بن أبي العلاء حتى كاد لا يعرف إلا بها .

ولعل لنسبه العريق أثراً كبيراً في فخره واعتزازه ، فقد فاض شعره قبل أسره بذكر آبائه وأجداده ، كما يبدو ذلك ظاهراً في رائيته الطويلة التي مطلعها[٣] :

لعلَّ خيالَ العامريةِ زائرُ ... فيُسْعَدَ مهجورٌ ويُسْعِدَ هَاجِرُ

حيث قال دالاً على مبعث الفخر عنده[٤] :

تَبوَّأْتُ من قرمَيْ (مَعَدٍّ) كليهما ... مكاناً أراني كيف تُبْنَى المفَاخِرُ

ولعل هذا من أسباب فخره في أسره أيضاً .

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان تحقيق د.إحسان عباس ٥٨/٢.

(٢) لسان العرب : انظر مادة (فرس) .

(٣) الديوان : ١٣٤/٢ .

(٤) الديوان : ١٠٨/٢ .

(ب) والده :

كان أبوه أبو العلاء سعيد بن أحمد بن حمدان أميراً من أمراء بني حمدان ، وكان ملازماً (المقتدر) مكيناً عنده ، وكانت أكثر مواقفه بين يديه وعلى بابه[(١)] ، إلى أن حظي بولاية (الموصل) سنة ٣١٨ هـ . بعد أن عزل (ناصر الدولة) ومن المؤكد أن هذا كان عاملاً طبعياً في انقضاض (ناصر الدولة) على عمه أبي العلاء وقتله فيما بعد "[(٢)] .

وكان لأبي العلاء مواقفه مع الروم ، فقد غزا " في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فأوغل في بلاد الروم جداً وسبى "[(٣)] .

وقد سجل أبو فراس صوراً من شجاعة والده في ديوانه ؛ ومن ذلك قوله[(٤)] :

أولئكَ أعْمَامِيْ، وَوَالِدِيَ الذي ... حَمَى جَنَبَاتِ المُلك والمُلْكُ شَاغِرُ
بحيثُ نساءُ الغادرينَ طوالقٌ ... وحيثُ إمَاءُ النَاكثِينَ حَرَائِرُ
غزا الرومَ لم يَقْصِدْ جَوَانِبَ غرّة ... ولا سَبَقَتْهُ بِالمُرَادِ النَذَائِرُ
فلمْ ترَ إلا فَالقاً هَامَ فَيْلَقٍ ... وبحراً لـه تحتَ العَجَاجَةِ مَاخِرُ

" وهذا الذي اتصف به والده من فروسية وشجاعة وحظى به من مكانة وما عرف عنه من قول الشعر لابد أن يؤثر على أبي فراس في حياته وشعره "[(٥)] ولكن الموت لم يمهل

---

(١) شرح ابن خالويه للديوان : ٢/١٣٤ ، والمقتدر هو جعفر بن أحمد ولد سنة ٢٨٢هـ وبويع بالخلافة سنة ٢٩٥هـ وتوفي سنة ٣٢٠هـ .
(٢) أبو فراس الحمداني حياته وشعره للدكتور عبدالجليل حسن – مكتبة الأقصى – عمان: ٧٣.
(٣) شرح الديوان : ٢/١٣٦ .
(٤) الديوان : ٢/١١٣ – ١١٤ .
(٥) أبو فراس حياته وشعره : ٧٤ .

هذا الوالد الشجاع فقد حدث ما بدأ حياة هذا الطفل بما يكدرها؛ لتبدأ بعد ذلك سلسلة من الأحزان والكوارث لازمت أبا فراس طول حياته حتى انتهت بقتله في نهاية المطاف.

"قتل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ؛ قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل "(١) ولعل ذلك بسبب عزل المقتدر لناصر الدولة وتولية أبي العلاء مكانه.

يقول أبو فراس في فقده أباه(٢) :

لَقَدْ فَقَدْتُ أبي طِفلاً فكانَ أبي ... من الرجالِ كريمُ العُودِ نَاضِرُه

(جـ) والدته :

نسبه العربي ثابت من جهة أبيه ، أما بالنسبة لأمه فإن أبا فراس يوقع الباحث في التباس حين يقول(٣) :

وأعمامي (ربيعةُ) وهي صِيدٌ ... وأخوالي (بَلَصْفُر) وهي غُلْبُ

وقال(٤) :

أَقَمْتُ بأرضِ الرُّومِ عامين لا أرى ... من النَّاس محزوناً ولامُتَصَنِّعا
إذا خِفْتُ من أخوالِيَ الرومِ خِطَّةً ... تخوفتُ من أعمامي العربِ أربعا

---

(١) وفيات الأعيان : ٢/٦١ – ٦٢ .
(٢) الديوان : ٢/١٨٤ .
(٣) الديوان : ٢/٢٨ .
(٤) الديوان : ٢/٢٤٧ .

حيث يتضح للباحث أن أمه كانت رومية ، ولكنه قال في مقام آخر[١] :

سَـمَتْ بنـا (وائـلٌ) وفـازَتْ بـالعزِّ أخوالُنـا (تَمِـيْمُ)

فأوهم أنها عربية أصيلة من قبيلة (تميم) !!!

وأغلب الظن أنها كانت رومية ؛ ذلك لأن التاريخ لم يذكر أن لأبي فراس إخوة، وأبو فراس يذكر ذلك في شعره ، كما يذكر أنه كان وحيد أمه في شعره أيضاً، قال يخاطب (سيف الدولة)[٢] :

جَاءَتْـكَ تَمْتَـاحُ رَدَّ واحـدها ينتظرُ النَّـاسُ، كيـفَ تُقْفِلُهـا ؟

بل إنه أفاد في بيت آخر أن لا ولد لديها ولا عشيرة حين قال في رثائها[٣] :

وقد ذُقْتِ المَنَايَـا والرَّزَايَـا ولا ولدٌ لديكِ ولاعَـشيرُ

فلعلي أتلمس من هذا أن لأبي العلاء ، أكثر من زوجة ، ومنهن هذه الزوجة الرومية ، " ويؤيد ما ذهبتُ إليه أن أبا فراس عندما يتحدث عن خؤولته في تميم لا يخص نفسه بذلك حيث يضيف (نا) إلى كلمة " أخوال " بينما يضيف ياء المتكلم خاصاً بها نفسه بذلك عندما يتحدث عن أخواله الروم[٤] .

---

(١) الديوان : ٣٤٥/٣ .

(٢) الديوان : ٣٣٢/٣ .

(٣) الديوان : ٢١٧/٢ .

(٤) أبو فراس الحمداني حياته وشعره : ٧٥ .

وقد صرح ابن العديم أنها كانت أم ولد والمعهود أن أكثر سباياهم من الروم[(١)] .

وكان لأمه دور كبير في تربيته وتنشئته وتثقيفه فـ " بعد أن قتل والد أبي فراس كفلته أمه برعايتها وعطفها ، بل عاشت حياتها كلها من أجله ولا غرو في ذلك ؛ فهو طفلها الوحيد الذي وهبت حياتها له ؛ فنشأت علاقة وطيدة بين الأم وابنها كما يظهر من شعره "[(٢)] .

(د) مولده ونشأته :

أكثر الروايات على أنه ولد سنة عشرين وثلاثمائة[(٣)] . ويذكر بعضها سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة[(٤)] .

وقد اختلف الباحثون في تحديد مسقط رأسه ، نظراً لعدم وقوفهم على نص تاريخي يثبت ذلك ، فذهب أكثرهم إلى أنها (منبج) ناظرين إلى أنه أصبح والياً عليها فيما بعد . بينما رد هذا د.عبدالجليل حسن فقال : " ولكن ما ذهبوا إليه لا أساس له ،

---

(١) زبدة الحلب : ١٥٧/١ .

(٢) حياته وشعره : ٨٥ .

(٣) وفيات الأعيان : ٦١/٢ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي – دار المسيرة – بيروت – ط٢ : ٢٥/٣ ، النجوم الزاهرة : ١٩/٤ .

(٤) وفيات الأعيان : ٦١/٢ .

ولا يثبت أمام الوقائع والأحداث التاريخية فكيف حددوا مسقط رأس أبي فراس في غير (الموصل) علماً بأن والده كان والياً هناك في الفترة التي ولد فيها "[١] .

والواقع أنه لا مانع من وجود زوجة لأبي العلاء في مدينة أخرى ولاننس أنه أمير ، كما أنها أَمَةٌ ، وقد وقفت على نص تاريخي يثبت مولده بـ (منبج) يقول : " ومولده بمنبج "[٢] . كما أن أبا فراس لم يذكر (الموصل) في رومياته حين تشوق إلى مرابع صباه بل ذكر منبج [٣] .

ولو افترضتُ عدم صحة الاستدلال بهذا النص بحال من الأحوال فما من شك أن مدينة أبي فراس الأولى هي (منبج) .

وهي كما وصفها ياقوت الحموي : " مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة ، وأرزاق واسعة ، في فضاء من الأرض ، كان عليها سور مبني من الحجارة محكم ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين (حلب) عشرة فراسخ ، وشربهم من قني تسيح على وجه الأرض وفي دورهم آبار أكثر شربهم منها عذبة صحيحة... ولد بها (عبدالملك بن صالح الهاشمي) وكان أجلّ قريش ، ولسان بني العباس ، ومن يضرب به

---

(١) حياته وشعره : ٨٢ .
(٢) النجوم الزاهرة : ١٩/٤ .
(٣) انظر الديوان : ٢٠٦/٢ – ٢٠٧ .

المثل في البلاغة ، وكان لما دخل (الرشيد) إلى (منبج) قال له : هذا البلد منزلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين هو لك ولي بك ، قال : كيف بناؤك به ؟ فقال : دون بناء بلاد أهلي وفوق منازل غيرهم ، قال : كيف صفتها ؟ فأجاب : طيبة الهواء قليلة الأدواء ، قال : كيف ليلها ؟ فأجاب : سحر كله ، قال : صدقت ، إنها لطيبة ، قال : بل طابت بك يا أمير المؤمنين ، وأين يذهب عنها الطيب وهي بُرَّةٌ حمراء ، وسُنبلة صفراء، وشجرة خضراء ، في فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد : هذا الكلام والله أحسن من الدر النظيم "[(١)] .

" فإذا كانت هذه صفة الجنة التي نشأ فيها وترعرع بين أعطافها أبو فراس ، وأنشد بين أفنائها ومروجها أرقَّ شعره ، قبل أن يأسره الروم أدركنا إلى أي حد يتكيف الشعر بالجو الذي يعيش فيه ، وأدركنا كذلك لماذا جاء شعر أبي فراس رقيقاً عذباً كرقة هواء (منبج) وعذوبة هوائها وسحر ليلها ، وخلاب مناظرها . "[(٢)] .

ولا شك أنها كانت تزيد من شوقه وهو في أسره وقد سرت تلك الرقة والعذوبة إلى بعض رومياته أيضاً وخاصة ما يذكر فيها أحبابه في (منبج) .

وأما عن مرحلة الطفولة فقد اختفت من كتب التاريخ والأدب إلا النزر القليل ، ولكن الأستاذ أحمد بدوي أخذ يستنبط بعض المعلومات عن هذه المرحلة عن طريق ما هو سائد ومعروف عن حياة أمثال الشاعر في عصره وعلى هذا يقول : إن أمه " قد

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، ص : ٢٠٦ .
(٢) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين د . مصطفى الشكعة – عالم الكتب– بيروت ط٢ ١٩٨١م ص: ٧٦.

نشَّأته تنشئة صالحة وعنيت بثقافته عناية خاصة ، فأحضرت له مربين لقنوه علوم الدين واللغة العربية ، وتاريخ العرب وأيامهم ، ولاسيما تلك الأيام التي كانت لقبيلته (ربيعة) ، ودرسوا له شيئاً من الشعر ولاسيما شعر أهل الشام الذين كان (البحتري) نموذجهم ومثلهم كما تعلم الرماية والفروسية على يد مدربين مهرة ، وذلك هو منهج دراسة الأمراء في ذلك الحين ، وقد أجاد أبو فراس ما درس "[(١)] .

والحق أن هذا التخمين لا يضيف شيئاً ذا قيمة كبيرة إلى البحث الأدبي مادام لا يرتكز على مصدر تاريخي موثوق ، وقد أوردته لتضمنه منهج الأمراء في ذلك الحين .

وشعر أبي فراس – وهو المصدر في هذا المجال – يوضح أنه قد تنقل في مواطن كثيرة مع أمه مثل (آمد) و (ميافرقين) و (ماردين) و (الرقة) ولعلهما أقاما بين (الموصل) و (الرقة) فتفتحت عين الطفل على جمال (الموصل) و (دجلة) و (الرقة) و (الفرات) ، فتفتحت على شفتيه بسمات الفرح وفي قلبه جراح اليتم ، ثم انتقل إلى (حلب) وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، وذلك عندما سار (سيف الدولة) لتأسيس دولته هناك ، ودخلها " يوم الإثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول، من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة "[(٢)] . حيث أصبح أبو فراس الشخصية الثانية في المجتمع

---

(١) شاعر بني حمدان د.أحمد بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٤٩م – ١٩٥٠م ، ١٨.

(٢) زبدة الحلب : ١/١١٢ .

الحمداني بعد الأمير سيف الدولة بل أصبح يرى نفسه فيما بعد نداً لسيف الدولة يتصف بمثل صفاته ، فيطمح للرياسة والإمارة .

وقد أفاد من سيف الدولة حيث عُدَّ : مثقف أبي فراس ومنبته ومخرجه وموقفه على سننه وآثاره .

كما أفاد من معاصريه أمثال ابن خالويه (١) الذي أصبح صديقاً حميماً له يأتمنه على سره وشعره (٢) .

(هـ) مذهبه :

كان الحمدانيون جميعهم شيعة ، وكذلك كان أبو فراس شيعياً إمامياً ويتضح هذا التحديد لفرقته الشيعية في قوله (٣) :

شافعي أحمدُ النَّبيُّ ومولا ... ي عليٌّ والبنتُ والسبطان
وعليٌّ وباقرُ العلم والصا ... دقُ ثم الأمينُ ذوالتبيان
وعليٌّ ومحمدُ بنُ عليٍّ ... وعليٌّ والعسكريُّ الداني
والإمامُ المهديُّ في يومٍ لاينـ ... ـفع إلا غفرانُ ذي غُفران

---

(١) هو أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه لغوي من كبار النحاة أصله من همذان واستوطن حلب فعظم بها شأنه وأكرمه بنوحمدان وله شعر حسن، اليتيمة ١٣٦/١ ولد سنة ٣٠٠هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ .

(٢) انظر مقدمة ابن خالويه للديوان : ٢/٢ .

(٣) الديوان : ٣٩٧/٢ .

حيث عدد الأئمة الإثني عشر ، وتسمى هذه الفرقة الاثني عشرية الإمامية على أن بعض المؤرخين ذكر أنهم كانوا مفضِّلين فقط ، والله أعلم بالحقيقة .

وقد خلت الروميات من مثل هذه الأبيات المذهبية سوى بيتين عرّض فيهما (أبو فراس) بعمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ؛ يقول[1] :

ولا خيرَ في دَفْعِ الرَّدى بمذلة — كما ردَّها يوماً بسوءَته عمرو
جرّت منايا مالكِ بنِ نُوَيْرَةٍ — عقيلتُه الحسناءُ أيَّامَ خالدِ

وهما يشيران إلى أكذوبتين ملفقتين في تاريخ هذين العلمين لا مجال لبسط الحديث عنهما هنا .

---

(١) الديوان : ٢/٨٣ ، ٢١٣ .

نقطة التحول :

وفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة حين استقرت الأوضاع لسيف الدولة في (حلب) " قلد أبا فراس ابن عمه (منبج) وما حولها من القلاع "[(١)] .

وكان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة ، لما رأى فيه من النجابة والقدرة على تحمل المسئولية .

ومنذ ذلك الحين بدأ نجم أبي فراس يلمع في سماء الفروسية والشعر .

---

(١) زبدة الحلب : ١/١١٢ .

{ ٢ }

الفارس الشاعر

(أ) فارس بني حمدان :

تقرأ ديوان أبي فراس فتحس أنك أمام فارس مغوار صنعته الحروب ، يتلذذ بسماع ضرب السنان أكثر من طربه بسماع القيان ، سكنت روح عنترة بن شداد في حنايا قصائده الحربية ، فلا تكاد تسمع سوى صوت صهيل الخيول وضرب القنا ، ولا تكاد ترى إلا لهيب النيران يلتهم الحصون والناس ، وتكاد أصوات النساء بعويلها وصراخها واستنجادها تخترم أذنيك ، فتعيش مع أبي فراس في وقائعه ، وكأنك تخوضها ، ورروحه الفتية تثب بين بيت وآخر تبعث زمجرة الأسود وهي تفخر وتباهي .

يقول أبو فراس(١) :

ولا تَصِفَنَّ الحربَ عندي فإنّها ... طَعامَي مُذْ بِعْتُ الصِّبَا وشَرابي

ويقول(٢) :

وصناعتي ضربُ السيوفِ وإنَّني ... مُتَعَرِّضٌ في الشعر بالشعراء

(١) الديوان : ٢/٢٩ .

(٢) الديوان : ٢/٩ .

ولذلك كان أبو فراس سيفَ (سيفِ الدولة) الذي لا يعرف الهزيمة يدخره ليوم المحنة ، حين تطلب همم الرجال العظماء ، يقول ابن خالويه شاهداً على ذلك : " ولما أوقع سيف الدولة بـــ (بني عقيل) و (نمير) و (كلاب) حين عاثوا في أعماله ، واشتدوا ، أنفذ أبا فراس في بعض السرايا، فظفر ، وانتصر ، فكتب إلى (سيف الدولة) بهذه الأبيات[(١)] ومنها[(٢)] :

ياضاربَ الجيشِ بي في وَسْطِ مَفْرِقِــه	لَقَد ضَرَبْتَ بنفسِ الــصارمِ العــضبِ
لا تحرزُ الدّرعُ عني نفس صــاحبِها	ولا أجــيرُ ذِمَــامَ البــيضِ واليَلَــبِ
ولا أعودُ برُمحــي غَيْــرَ مُــنْحَطِمٍ	ولا أروحُ بــسيفي غــيرَ مُخْتَــضِبِ
حتى تقولُ لــك الأعــداءُ راغمــةً	"أضحى ابن عمِّك هذا فارسَ العربِ"

" لقد نبغ أبو فراس في ميدان الفروسية ، وكانت له فيه صولات وجولات ، وقد نستطيع أن نعود بفروسيته إلى عوامل وراثية ، واجتماعية ونفسية تضافرت على إسباغ صفة الفارس عليه ، وكان يحاول جهده أن يتمثل تقاليد الفروسية ومقتضياتها في ميدان القتال من جانب ، والتسامي نحو المثل العليا في مظاهر حياته من جانب آخر "[(٣)] .

فلنتلمس ما وسعنا المقام هذه الصفات النبيلة التي تمتزج فيها الأخلاق العالية ، والصفات السامية ، بالفروسية النبيلة.

---

(١) شرح ابن خالويه للديوان : ٤٣/١ ، العضب : القاطع ، اليلب : وقاء للرأس مصنوع من الجلد .
(٢) الديوان : ٤٤/٢ .
(٣) حياته وشعره : ١٣٠ – ١٣١ .

إن من أبرز الصفات في شعر أبي فراس الحربي تلك الروح الشجاعة التي تثبت حين تزل الأقدام ، وتتقدم حين تتقهقر الأبطال يقول[(١)] :

ألم أثبتْ لهـــا والخيـــلُ فَوضَـــى … بِحَيْثُ تَخِفُّ أّحْـــلامُ الرِّجَـــالِ

بل إنه حين يستعين بشجاعته لنجدة مستغيث ، فإن نفسه الأبية لاترغب سوى الشكر ، يقول ابن خالويه : " أسرت (بنو كلاب) (عيسى بن عباد) سيد (بني قطن) فخرج أبو فراس إليهم حتى انتزعه منهم قسراً " فقال[(٢)] :

رَدَدْتُ على بني قطـــنٍ بـــسيفي … أسيراً غَيْـــرَ مَرْجُـــوِّ الإِيَـــابِ
ومَا أبغي سِوىَ شُـــكري ثوابـــاً … وإنَّ الشكرَ من خَيْـــرِ الثَّـــوابِ

وضرب مثلا رائعاً في العفو عند المقدره ، وفي تشفيع النساء في ذويهن ، حين شفع لديه نسوة من (بني كلاب) في قومهن ، فأطلق لهن الأسرى والأموال وقال[(٣)] :

شفيعُ النّزَارِيَّـــاتِ غَيْـــرُ مُخَيَّـــبِ … وداعي النّزَارِيَّـــاتِ غَيْـــرُ مُخَـــذَّلِ
رددتُ برغمِ الجيشِ ماحَـــازَ كُلَـــه … وكلَّفتُ مالي غَـــرْمَ كـــلِّ مـــضلل
فأصبحتُ في الأعـــداءِ أيُّ مُمَـــدَّحٍ … وإنْ كُنْتُ في الأصحابِ أيَّ مُعَـــذَّلِ

---

(١) الديوان : ٢٨٤/٢ .
(٢) الديوان : ١٧/٢ .
(٣) الديوان : ٢٨٨/٢ .

فهو " مع شدته وقسوته في الحرب فإنه يحمل قلباً رحيماً ، عطوفاً على من يحاربه، فلا يلبث بعد انتصاره عليه أن تتحرك فيه عوامل الشفقة ، فيؤوب إلى حلمه ويغلب عليه العفو "[١] .

فلما أطعتُ الجَهْلَ والغـيظَ سَـاعَةً دعوتُ بحلمي أيُّها الحلـمُ أقبـلِ[٢]

إلى جانب كرمه وعفته ، وسماحته وصبره ، ووقاره ، كلُّ ذلك في ميدان المعركة لا تغير من أخلاقه الخطوب ولا يعتريها بها النضوب[٣]

وقورٌ وأحـداثُ الزمـانِ تنوشُـني وللموتِ حَـوْلي جِيْئَـةٌ وذَهَـابُ

وقد اشترك أبو فراس في كثير من الحروب والمعارك مع سيف الدولة ضد الروم من جهة ؛ لتأمين الثغور وإظهار القوة ، ومن جهة أخرى مع القبائل العربية لإخضاعها لسلطان الحمدانيين، يقول أبو فرا س "غزونا مع سيف الدولة وفتحنا (حصن العيون) في سنة ٣٣٩هـ وسني إذ ذاك تسع عشرة سنة ، وأوغلنا في بلاد الروم "[٤] إلى جانب الغزوات التي قام بقيادتها وحده .

" ومما نمى صفة الإقدام فيه إيمانه بالقضاء والقدر ، فهو يضع الخطة الحربية ويؤمن أن في يد الله نجاحها أو إخفاقها ، وذلك هو الاستسلام الذي يملأ قلب الجندي في

(١) شاعر بني حمدان : ٣٤ .
(٢) الديوان : ٢٨٨/٢ .
(٣) الديوان : ٢٢/٢ .
(٤) الديوان : ١٤٢/٢ .

ميدان المعركة ، ومادام هذا الإيمان يملأ قلبه لا خير في التراجع ولا فائدة فيه ... فلا غالب لقضاء الله ، ولا هارب مما قدره ، ولقد تعد للأمر عدته ، وتتحصن ما شئت أن تتحصن "[١] .

ولكن إذا حُمَّ القضاءُ على امرئٍ فليسَ لــه بَــرٌّ يقيــهِ ولا بحــرُ[٢]

ولا ننسى أن في حياته شيئاً سيئاً لايمكن إغفاله ؛ وهو جانب اللهو المحرم ، وحب الغناء والشراب والطرب ، وذلك بعد عودته من حروبه ، وفي شعره شواهد عديدة منها[٣] :

أدر الكئــوسَ وسَــقِّنَا فالدَّهْرُ بالأعْمَــارِ دائِــرْ
واشربْ على زهرِ الرَّبيعِ وحُسْنِ نَغْماتِ المَزَاهِــرْ
بينَ السنابك والجَــداولِ والمعَاصِــرِ والدَسَــاكِرْ
كأســاً كــأن بِــصَحْنِها من كَفِّ ساقيها جَــوَاهِرْ
تــذرُ الفــتى وفــؤادَه خِلواً من الأحْزَانِ طَــائِرْ

---

(١) شاعر بني حمدان : ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) الديوان : ٢/٢١٣ .
(٣) الديوان : ٢/٢٢٣ .

(ب) شاعر بني حمدان :

يعد أبو فراس في مجال الشعر في طبقة المتنبي وإن كان دونه في أمور ويفوقه أبو فراس في أمور أخرى[١] . ، وتكفينا الشهادات التي منحها له كبار المؤرخين والأدباء في عصره وبعد عصره تشيد بشاعريته الفذة ، وخاصة حين نضجت فأثمرت تلك الروميات التي سنتحدث عن مكانتها بشيء من التفصيل فيما بعد .

فهذا (التنوخي)[٢] وهو من معاصريه يروي عن (أبي الفرج الببغاء)[٣] قوله :
" ولأبي فراس كل شيء حسن من الشعر في معنى أسره "[٤] يعني الروميات .

ويرفع (الثعالبي)[٥] من شأنه إلى مرتبة عالية في عبارات يتناقلها الرواة والكتاب من بعده يقول :

" وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف وعزة الملك ، و لم تجتمع

---

(١) انظر : شاعر بني حمدان : ١٣٤ – ١٥٤ . ، فنون الشعر : ٧٥٩ – ٧٧١ . وقد فصلا في هذا .

(٢) هو الحسن بن علي بن محمد بن داود ، قاض من العلماء والأدباء والشعراء ولد في البصرة سنة ٣٢٧هـ وسكن بغداد فتوفي بها سنة ٣٨٤هـ ومن كتبه (الفرج بعد الشدة) . وفيات الأعيان: ٤/١٥٩ – ١٦٢ .

(٣) عبدالواحد بن نصر المخزومي من أهل نصيبين ومن شعراء سيف الدولة وانتقل إلى الموصل وبغداد . اليتيمة : ١/٢٩٣ .

(٤) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي المحامي ١٣٩١هـ / ١٩٧م المطبعة ؟ ج١ : ٢٢٩ .

(٥) أبومنصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، من أئمة اللغة والأدب ولد سنة ٣٥٠هـ وتوفي سنة ٤٢٩ هـ ومن كتبه : من غاب عنه المطرب و فقه اللغة (وفيات الأعيان: ٣/١٧٨ – ١٨٠).

هذه الخلال قبله إلا في شعر (عبدالله بن المعتز) وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب بن عباد يقول : " بدئ الشعر بملك ، وختم بملك " يعني (امرأ القيس) وأبا فراس .

وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه ، فلا ينبري لمباراته ، ولا يجتريء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من (آل حمدان) تهيباً وإجلالا ، لا إغفالاً وإخلالا ، وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته[1] واعترض الناقد كامل كيلاني على كلام الثعالبي حين قال : " وكان المتنبي يشهد له ... " فقال : " فأما أن المتنبي كان يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترئ على مجاراته فيرجع إلى قرابة أبي فراس من سيف الدولة وما تجره على المتنبي من نكبات "[2] .

ثم يقول : " وكيف نرضى بهذا التعليل الذي يقنع به الثعالبي وغيره ونحن نرى المتنبي قد مدح من أسرة (حمدان) من هم دون أبي فراس مقاماً كما مدح سيف الدولة – رأس الأسرة الحمدانية – وهو أجدر بالتهيب والإجلال إن كان المتنبي ممن يتطرق إلى نفسه تهيبٌ أو إجلال لكائن من كان .

---

(١) اليتيمة : ٥٧/١ .

(٢) صور جديدة من الأدب العربي ، كامل كيلاني ، مكتبة الآداب بالجماميز بمصر ١٣٥٨هـ – ١٩٣م ص : ٦٦ .

لقد كان أبو فراس شاعراً ، وشاعراً فحلاً ممتازاً ، وحسبك بهذه الميزة سبباً ينفر المتنبي من مدحه ، ولا تنس أن المتنبي كان يتطلع إلى حمل لواء الزعامة الأدبية ، ويرى أن ذلك أيسر ما يجدر به أن يفعله ، لأن نفسه الوثابة كانت تتوق إلى ما هو أسمى من زعامة الشعر "[1] ثم ذكر ما كان بينهما من احتقار كل منهما للآخر حيث يرى أبو فراس أن شعر المتنبي رفعه أكثر من منزلته ، ويرى المتنبي أن مركز أبي فراس رفع من شأن شعره أكثر من منزلته .

ويشير إلى المعنى الأخير (ابن رشيق القيرواني) فيقول : " ... أما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه ، وكان (الصنوبري) و (الخبرزي) مقدمين عليه للسن ثم سقطا عنه "[2] ويعلل د.شوقي ضيف عدم ارتقاء أبي فراس – كما يرى هو – إلى الأفق الذي كان يحلق فيه المتنبي بـــ " سبب بسيط وهو أنه أمير مترف يتناول شعره كما يتناول حياته في يسر وسهولة "[3] ويدافع الدكتور مصطفى الشكعة عن أبي فراس في وجه الذين انتقصوه بجانب المتنبي فيقول : " فإهمال شأن أبي فراس أمام المتنبي جاء نتيجة لقصور الذوق الفني وسقم الإحساس الشاعري عند النقاد العرب ، ونتيجة للمؤامرة التي حاكها بعض المستشرقين ضد كل ما هو حمداني "[4] والحق أن لكل شاعر ميدانه الذي سبق فيه صاحبه ولا مجال في هذا البحث لعرض الموازنة .

---

(١) المرجع نفسه : ٦٨ .

(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده صححه الأستاذ محمد النعساني مطبعة دار السعادة بمصر ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م .

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي د.شوقي ضيف ط٩ ١٩٧٦م دار المعارف بمصر ص :٣٥٣ .

(٤) فنون الشعر : ٧٦٠

لقد بنى أبو فراس بفروسيته وشاعريته لنفسه مجداً خالداً يرويه الأجداد للأحفاد وتتناقله الألسن بعدما وعته الصدور ، يقول (ابن شرف القيرواني)(١) " وأما أبو فراس بن حمدان ففارس هذا الميدان إن شئت ضرباً أو طعناً أو شئت لفظاً ومعنى ، ملك زماناً وملك أماناً ، وكان أشعر الناس في المملكة ، وأشعرهم في ذل الملكة ، وله الفخريات التي لا تعارض والأسريات التي لا تناهض "(٢) حتى لقد شهد له الكتاب في مختلف العصور على مر الأجيال ؛ يقول الشيخ المكين(٣) " وكان فاضلاً ، شاعراً ، أديباً "(٤) فهو شاعر فريد في عصره ، لا يشبه ما نعرف من شعراء اتخذوا الشعر صناعة وحرفة وسلما ، وهو في هذا وحيد في زمان سقط فيه الشعر إلى الاحتراف ، وهوت

(١) هو أبوعبدالله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني من البيوتات العربية التي قدمت مع الجيش العربي لفتح القيروان رحل إلى صقلية ثم إلى الأندلس فسكن المرية وتوفي بها ، ولد سنة ٣٩٠هـ وتوفي سنة ٤٦٠هـ من كتبه " أعلام الكلام " . (الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ط٢ ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م باعتناء س.ديدرينغ – دار النشر : فرانز شتاينر بفيسبادن : ٩٧/٣) .

(٢) " أعلام الكلام " أو " رسائل الانتقاد " لابن شرف القيرواني – مطبعة النهضة بمصر ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م ص : ٢٥ .

(٣) هو جرجيس أو " عبدالله " بن أبي ياسر بن أبي المكارم المكين ابن العميد ولد في القاهرة سنة ٦٠٢هـ وكان أبوه نصرانياً وغضب عليه السلطان فاستيق مع ابنه إلى مصر وسجن بها وتوفي الأب وأطلق سراح الابن فعاد إلى الشام وتوفي سنة ٦٧٢هـ . (هدية العارفين أسماء المؤلفين آثار المصنفين – إسماعيل باشا البغدادي مطبعة وكالة المعارف البهية باستانبول اعادت طبعة مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي بطهران الطبعة الثالثة ١٩٦٧م ١٣٨٧هـ ١/٢٥٠ ، الأعلام : ١١٦/٢) .

(٤) تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام " أبي القاسم محمد " إلى الدولة الأتابكية ، للشيخ المكين طبعة " توماس الأربني " في ليدن ١٦٢٥م ص ٢٢٣ عن الديوان : ٤٧١ .

نفوس الشعراء إلى الحضيض ؛ يقبلون الأرض بين يدي الأمراء والممدوحين وينشدون وهم وقوف ، ويتسابقون إلى الدينار . فهم حين ينظمون يستعيرون قلوب الممدوحين وعواطفهم ، ويسخرون ألسنتهم ونفوسهم ، في غاية لا يؤمنون بها ويترلون عن حياتهم لمن يترل لهم عن بعض المال .

لهذا كان أبو فراس يأبى أن يسلك فيهم أو يعد منهم ، فلا يسمي نفسه شاعراً ولا يرى صناعة له غير ضرب السيوف ، وما الشعر عنده إلا لمفاخرة ومديح آبائه النجب ومقطعات لتحلية الكتب – كما يقول هو نفسه .

ولعل شاعرية أبي فراس لا تتبين – كما يليق بها – إلا حين يُستعرض شيءٌ من نتاجها ، وتعد الروميات من أروع هذا النتاج .

{ ٣ }

الأسد الأسير

يقول الثعالبي : " لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال أسرته الروم في بعض وقائعها ، وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً (بخَرْشَنَةَ) ثم بـــ (قُسْطَنطِينيَّة) وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل " على كل نجح رقيب من الآفات "[(١)] .

هذه الكلمات المختصرة تشير إلى مرحلة حرجة من حياة أبي فراس وهي أبرز ما فيها ، حيث الأحداث الجسام التي تشبه الأساطير ، والآلام المتتابعة على قلب " أبي فراس ضحية الكبرياء ، كبرياء الحب والمجد " أبي فراس الوتر الحنان الذي خلد على الدهر مجد الألم ومجد الأنين ... أبي فراس الأسد الذي استعذب الدمع بعد الزئير ، وعلمته الليالي كيف تعصف الخطوب بأحلام الرجال ... وما قرأت روميات أبي فراس إلا تمثلتُ زوال الجبال ، تمثلت عنفوان الفارس الفاتك ، الذي قضت [إرادة الله] بأن يمسي وهو في ظلمات من ذلة الأسر وهزيمة القلب ، وانصهار الروح "[(٢)] .

---

(١) اليتيمة : ٨٥

(٢) الموازنة بين الشعراء د.زكي مبارك ط٢ مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .

فما قصة هذا الأسر ؟ ومتى ؟ وكيف تمت أحداثه ؟

(أ) زمن الأسر وأحداثه :

اختلف المؤرخون في تحديد سنة أسره على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ذهب إلى أنه أسر مرة واحدة سنة ٣٥١هـ ومنهم : ابن خالوية شارح الديوان[١] وابن ظافر الأزدي[٢] وابن الأثير[٣] وحدد أبو الفداء شهر شوال[٤] .

القسم الثاني : ذهب إلى أنه أسر مرة واحدة ولكن في سنة ٣٤٨هـ ومنهم الشيخ المكين[٥] وابن العديم[٦] الذي جعله بين سنة ٣٤٨هـ - ٣٤٩هـ ، ونقله ابن خلكان عن أبي الحسن علي بن الزراد الديلمي .

ويمثل ابن خلكان[٧] **القسم الثالث** حيث قال : " وكانت الروم قد أسرته في

---

(١) الديوان : ٢/١٤٥ .

(٢) أخبار الزمان في تاريخ بني العباس (مخطوطة) عن الديوان : ٤٦٦ .

(٣) الكامل : ٨/٥٤٥ .

(٤) " المختصر في أخبار البشر " أو " أخبار الإسلام " لأبي الفداء طبع في مصر عام ١٣٢٥هـ في المطبعة الحسينية المصرية : ٢/١٠٤ .

(٥) تاريخ المسلمين ٢٢٣ عن الديوان : ٣/٤٧٠ .

(٦) زبدة الحلب : ١/١٣١ .

(٧) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الأربلي المؤرخ الحجة والأديب الماهر ، ولد في " إربل " سنة ٦٠٨هـ وانتقل إلى مصر ثم إلى دمشق ثم إلى الشام ومات بدمشق سنة ٦٨١هـ انظر : فوات الوفيات : ١١٠ - ١١٨ .

بعض وقائعها ، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، ونقلوه إلى (خرشنة) ثم منها إلى (قسطنطينية) وذلك في سنة : ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين .

قلت : هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي ، وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط ، وقالوا : أسر أبو فراس مرتين :

فالمرة الأولى : بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وما تعدوا به خرشنة؛ وهي قلعة ببلاد الروم ، والفرات يجري من تحتها ، وفيها يقال : إنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى (الفرات) والله أعلم .

والمرة الثانية : أسره الروم على (منبج) في شوال سنة إحدى وخمسين وحملوه إلى " قسطنطينية " وأقام في الأسر أربع سنين "[١] .

والراجح – والله أعلم – أنه أسر مرة واحدة وذلك في شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ؛ وذلك لأن ابن خالويه عاصر الشاعر وهو أمين ديوانه وسره ومؤدبه وهو أعلم بحاله من غيره ، وكذلك تأييد كبار المؤرخين لهذا الأمر ومنهم التنوخي والثعالبي حيث لم يذكرا شيئاً عن تعدد أسره ، وهم من عرفوا بالتثبت .

وأما ما قاله أصحاب القسم الثاني من أنه أسر سنة ٣٤٨هـ - ٣٤٩هـ فإن في الديوان ما يثبت أن أبا فراس كان طليقاً في تلك السنة ومن ذلك أنه أرسل إلى أبي

---

(١) وفيات الأعيان : ٥٩/٢ .

العشائر أبياتاً وهو أسير مطلعها[١] :

أَأَبا العشائرِ إن أُسِرْتَ فطالما أَسَرَتْ لكَ البيضُ الخِفَافُ رجالاً

وأما ابن خلكان فإن في روايته ما يضعفها مثل قوله : " وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط ، وقالوا : أسر أبو فراس ... " ثم تعقيبه بقوله :"والله أعلم" مما يشي بعدم تثبته مما يذكر لأنه لم يعتد ذكرها .

وأما هذه القصة التي ذكرها في هربه في المرة الأولى ؛ فإن المتصفح ديوانه لن يجد لها ذكراً مع أنها ستكون من مفاخره لو كانت حقيقة ، وكذلك نجاته من هذه العملية مما لا يتقبله عقل إنسان ، كما أن الأسير لا يترك جواده في متناول يده .

وعلى هذا يسلم الرأي الأول .

وبعد أن تحدد زمن الأسر فكيف تم ؟

لقد كثرت الروايات وتعددت واختلفت ومجملها ما يلي :

كان سيف الدولة قد قلد أبا فراس ولاية منبج وحران . وفي شوال من سنة إحدى وخمسين خرج مع نفر من غلمانه تذكر بعض الروايات أنهم سبعون[٢] فارساً يتصيدون خارج منبج فإذا بغارة رومية على رأسها (ابن أعور)[٣] أو (تودوس)[٤]

---

(١) الديوان : ٣٠٣/٢ ، ٣٠٤ .

(٢) نشوار المحاضرة للتنوخي : ٢٢٨/١ .

(٣) أخبار الزمان في تاريخ بني العباس " مخطوطة " الورقة ٩و عن الديوان : ٤٤٦/٣ .

(٤) تاريخ المسلمين للشيخ المكين : ٢٢٣ عن الديوان ٤٧٠/٣ .

ابن أخت ملكهم قوامها : ألف وثلاثمائة فارس ، أو ألف فارس[١] تقصد مدينة منبج وقد استاقوا مواشي من ضيعة يقال لها : (بترك)[٢] ، فاشتبك معهم أبو فراس واستنقذ ما بأيديهم . ورواية التنوخي تقول : " وقد رأى أن الناس يلحقونه فما اتبعوه وحملت الروم بعددها عليه فأسر "[٣]،[٤] .

ورواية ابن ظافر الأزدي تقول : إنه " تبعهم ثم انصرف عنهم وقد أجهد خيله وأعطشها ، فنزل أصحابه ، وتفرقوا يسقون ، وتبعهم الروم فانهزموا وركب أبو فراس وقصد البلد إدلالاً بنفسه وفرسه ، فسلك غير طريق أصحابه ، فأسره الروم "[٥] ، وذهب به آسروه إلى (خرشنة) ثم إلى (القسطنطينية) وهو ماذكره الثعالبي[٦] أما ابن العديم[٧] فقصر أسره على خرشنة كما قصره الشيخ المكين[٨] على مدينة القسطنطينية، والراجح ماذكره الثعالبي لقربه من حياة الشاعر وموافقة رأيه للحوادث التاريخية وقد وافقه

---

(١) تاريخ المسلمين للشيخ المكين : ٢٢٣ عن الديوان ٣/٤٧٠ .
(٢) أخبار الزمان في تاريخ بني العباس " مخطوطة " الورقة ٩و عن الديوان : ٣/٤٤٦.
(٣) نشوار المحاضرة للتنوخي : ١/٢٢٨ .
(٤) تاريخ المسلمين للشيخ المكين : ٢٢٣ عن الديوان ٣/٤٧٠ .
(٥) أخبار الزمان في تاريخ بني العباس " مخطوطة " الورقة ٩و،ظ عن الديوان : ٣/٤٦٦ .
(٦) اليتيمة : ٨٥ .
(٧) تاريخ حلب : ١/١٣١ .
(٨) تاريخ المسلمين للشيخ المكين : ٢٢٣ عن الديوان ٣/٤٧٠ .

ابن خلكان[١] في وفيات الأعيان ويذكر الثعالبي أنه جرح بسهم بقي نصله في فخذه[٢].

وذكر الذهبي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة اسم آسر أبي فراس وهو غير ماذكرت ، فهل هو أحد القادة الذين اشتركوا في تلك الغارة ؟ أو هو أحد الجند ؟ أو أنه رواية ثالثة للاسم ... الله أعلم يقول : " وفي هذه الأيام أسروا (سرحون) – لعنه الله – وهو الذي كان أسر (أبا فراس بن حمدان) فلله الحمد "[٣] ويشير أبو فراس إلى حادثة أسره مدلاً بشجاعته وفتوته ، " فهو فارس مقدام ، ولا يقلل من أمر فروسيته أنه وقع أسيراً في يد عدوه ، بل إن رضاه بالأسر يدل على تلك الصفة ويؤكدها ، فقد فضل الأسر على أن يلوذ بأذيال الفرار "[٤] يقول[٥] :

أُسِرتُ وما صَحْبي بعُزْلٍ لدى الوغى ... ولا فَـرَسِـي مُهْرُ ولارَبُّهُ غمـرُ
ولكن إذا حُمَّ القضاءُ علـى امـرئ ... فليس لـه بـرٌّ يقيه ولا بحـرُ
وقالَ أصَيْحَابي الفـرارُ أو الـرَّدَى ... فقلت هما أمـرانِ أحلاهمـا مُـرُّ
ولكـنني أمـضي لمـا لا يَعِيـبُني ... وحَسْبُك من أمرينِ خَيْرُهُما الأَسرُ

(١) وفيات الأعيان : ٥٩/٢ .
(٢) اليتيمة : ٨٥ .
(٣) تاريخ الذهبي مخطوطة في المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٢٠ الورقة ٨٨ و عن الديوان ٤٧٧/٢ .
(٤) شاعر بني حمدان : ٣٣ .
(٥) الديوان : ٢١٣/٢ .

" وقال في أسره ، وقد عوفي من علة بعد أن قام سنتين ونصفاً في بدنه نصل سهم وشق عليه ست مرات حتى خرج[(١)] :

ولا تَصِفَنَّ الحربَ عندي فإنَّها ... طَعامَي مُذْ بِعْتُ الصِّبَا وشَرابي

وقد عَرَفَتْ وَقْعَ المسامير مهجتي ... وشُقِّق عَنْ زُرْقِ النِّصَالِ إهابي

ولَجَجْتُ في حُلْوِ الزَّمانِ وَمُرِّه ... وأنفقتُ من عمري بِغَيْرِ حِسَابِ

❁❁❁❁❁

(ب) الفداء

وطوال مدة الأسر التي استمرت على أرجح الروايات أربع سنوات كان أبو فراس يكاتب سيف الدولة للفداء ، لما كان يعلم أن لديه أسرى " من عظماء الروم ؛ منهم البطريق المعروف (باغورج) وابن أخت الملك وغيرهم فيأبى سيف الدولة ذلك مع وجده عليه ومكانه في قلبه ، ويقول : " لا أفدي ابن عمي خصوصاً ، وأدع باقي المسلمين ، ولا يكون الفداء إلا عاماً للكافة "[(٢)] وهذه العلة التي ذكرها التنوخي لتسويغ بطء سيف الدولة عن الفداء لم تقنع بعض الباحثين في العصر الحديث ، بل أكد الأستاذ أحمد بدوي أن هناك علة أخرى فقال : " أما أنا فلا أشك في أن سيف

(١) الديوان : ٢/٢٩ .

(٢) نشوار المحاضرة للتنوخي : ١/٢٢٨ .

الدولة كان متغيراً على أبي فراس ولا أشك في أن الصفاء الذي كان يسود علاقتهما قد شابه شيء من الكدر والجفاء ، ودليلنا على ذلك هذا الشعر الكثير الذي يحدثنا عن عتاب سيف الدولة له وما كان يبذله الشاعر من الجهد في رد هذا العتاب ... وأن يستعطف قلب الأمير بأرق ما عرف من أساليب الاستعطاف "[١] . وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (٢٧ ديسمبر ٩٦٥م) " سار سيف الدولة بالبطارقة إلى الفداء "[٢] على " شاطيء الفرات ... فأنفق عليه خمسمائة ألف دينار ، وأخرج كل من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم ، واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث رومية من ضعفاء الناس ، فأما الجلة ممن كان أسيراً ففادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم ، وكانت الحال هائلة فيما أخبرني جماعة حضروا ، يبقى فخرها له ، فقال أبو الفرج الببغاء في ذلك أنشدنيها أولها[٣] :

ما المـــالُ إلا مـــا أفـــادَ ثَنَـــاءَ ... ما العزُّ إلا مـــا حمـــى الأعـــداءَ
وفديتَ من أسرِ العدوِّ معاشـــراً ... لولاك ما عرفوا الزمـــانَ فـــداءَ
وضَمِنْتَ نَفْسَ أبي فراس للعُـــلا ... إذ منه أصبحت النفوسُ بـــراءَ
ما كان إلا البدرُ طال ســـرارُه ... ثم انجلى وقـــد اســـتتمَ بَهـــاءَ
يومٌ غدا فيه سماحُك يعتق الـــ ... أسراءَ منكَ ويأسِـــرُ الأمَـــراءَ

---

(١) شاعر بني حمدان : ٦٨

(٢) تاريخ حلب لابن العديم : ١/١٤٦

(٣) نشوار المحاضرة : ١/٢١٨ . ومن الكتب التي ذكرت حادثة الأســـر : الكامـــل : ٨/٥٧٤ ، وتـــاريخ المسلمين ٢٤٢ عن الديوان : ٤٧٠ ، ٤٧١ .

وبعد خروج أبي فراس من الأسر قل شعره فلم يرو منه إلا بضعة مقطوعات يقول د.أحمد بدوي : " وهنا تبدو ظاهرة قوية أحب أن أسجلها تلك هي أن أبا فراس لم يسجل في شعره شكر سيف الدولة على هذا الفداء وأن الشاعر قد استقبل الحرية التي طال انتظارها بشعر قليل و[منه قوله][(١)]:

وللهِ عندي في الإســـار وغَيره ... مواهِبُ لم يُخصصْ بها أحدٌ قبلي
حَلَلْتُ عُقُوْداً أعْجَزَ النَّاسَ حَلَهَّا ... وما زالَ عِقْدي لا يُذمُّ ولا حَلَّي
إذا عَاينتني الرُّومُ كفَّرَ صيدُها ... كأنَّهُمُ أسرَى لديَّ وفي كَبْلِي
وأوْسَعُ أيَّاماً حَلَلْتُ كَرَامَةً ... كأنِّيَ مِنْ أهْلي نُقلْتُ إلى أهْلي
فَقُل لبني عَمِّي وأبْلِغ بني أبي ... بأنِيَ في نَعْمَاءَ يشكرُها مِثلي
وما شاءَ ربي غيرَ نشرِ محاسني ... وأن يعرفوا ما قد عرفتَ من الفضل

وهي أبيات تدل على أن أبا فراس قد بذل جهداً كبيراً في تحقيق هذا الفداء ... ولعل السبب في قلة شعره الذي استقبل به الحرية يعود إلى أن هذا الأمل قد فاز به الأسير بعد تطاول الزمن ، وفوات وقته ، وإن النفس لتستقبل الأمل يجيء بعد فوات وقته بهدوء وفتور"[(٢)] وقد عد الثعالبي هذه المقطعة من الروميات[(٣)] ، وليست كذلك

(١) الديوان : ٣/٣٢٤ .
(٢) شاعر بني حمدان : ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) اليتيمة : ١/١٠٧ ، ١٠٨ .

فإن الباحث يستطيع أن يحدد متى قيلت ؟ من مقدمة أبي فراس نفسه لها ؛ حيث ذكر تاريخ وجوده في الأسر وكيف أكرم فيه ، ثم ذكر الفداء ، وكيف تم ، ثم قال : " فقلت في ذلك شعرا "(١) فالقصيدة قيلت عقب الفداء ... والله أعلم .

وهكذا يخرج " أبو فراس " من أسره ليواجه منيته .

(جـ) وفاته :

قال الثعالبي :

ولما " أطلق أسد الحرب عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ...، ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مرثيته على أنه قتل في وقعة كانت بينه وبين موالي أسرته "(٢)

وقال ابن خالويه :

" وبلغني أن أبا فراس أصبح يوم مقتله حزيناً كئيباً ، وكان قد قلق تلك الليلة قلقاً عظيماً ؛ فرأته ابنته ؛ امرأة (أبي العشائر) كذلك ، فأحزنها حزناً كئيباً ثم بكت ، وهو على تلك الحالة ، فأنشأ يقول ، ورجله في الركاب ، والخادم يضبط السير عليها ، وإنما قال ذلك ، كالذي ينعى نفسه ، وإن لم يقصد ذلك فقال :

---

(١) انظر الديوان : ٣/٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٢) اليتيمة : ١/١١٢ ، ١١٣ .

أبُنَــــيَّتي لا تحـــزني ... كُــلُّ الأنــامِ إلى ذَهَــاب
أبُنَــيَّتي صَــبْراً جميـــ ... ـــلاً للجليل مِن المُــصَاب
نُــوحِي علــيَّ بحَــسْرَةٍ ... مِنْ خَلْفِ سِتْرِك والحجاب
قــولي إذا نــاديتني ... وعَييتُ عــن ردِّ الجــواب
زينُ الــشبابِ أبــو فــرا ... س لم يُمَتَّــعْ بالــشباب

ثم سار إلى ملاقاة (قرغويه)[١] فكان من أمره ما كان ، وهذا آخر ما قاله من الشعر فيما بلغني ، فسبحان من لا يحول ولا يزول ، وهو الحي القيوم".[٢] إن الثعالبي وابن خالويه يشيران إلى قصة دامية بنيت على الغدر والخديعة كان ضحيتها أبو فراس نتلمسها في كتب التاريخ المعتمدة لنجمع شمل أحداثها ونلملم شعثها فقد تبعثرتْ في صفحات الكتب كما تبعثر غيرها من سيرة أبي فراس .

روى القاضي التنوخي عن أبي الفرج الببغاء : " أن الجيوش السيفية افترقت بعد وفاة صاحبها ، فكل قطعة حوت بلداً ، وصار معظمهم مع قرغويه بـــ حلب ، واحتوى عليها ، وانضمت قطعة إلى أبي فراس فغلب بها على حمص فلما استقام الأمر لـــ (قرغويه) رحل بالأمير أبي المعالي شريف بن سيف الدولة وهو إذ ذاك صبي ، وأبو فراس خاله ، لقتال أبي فراس ثم جرت بينهما مراسلة ، واصطلحوا .

---

(١) قرغويه : غلام سيف الدولة وأحد قواده ... (وبعد مقتل أبي فراس) خالف سيده سعد الدولة وأخرجه من حلب ، ولكن أحد أتباع قرغويه اعتقله وأعاد الحكم لـــ سعد الدولة الذي عاد إلى حلـــب ، وظـــل قرغويه سجيناً وكان ذلك آخر العهد به . الكامل : ٨/٥٦٢ – ٦٨٢ .

(٢) الديوان : ١/٤٧ .

وجاء أبو فراس وهو لا تحدثه نفسه أن قرغويه يجسر عليه ، ولا أنه يخاف أبا المعالي وهو ابن أخته ، فدخل إلى أبي المعالي وخرج ، وما أحب الأمير أبو المعالي به سوءاً ، إلا أن قرغويه خاف أن يتمكن من ابن أخته فيحمله على قتله ، فنصب له قوماً اغتالوه في العسكر ، وهم عقيب حرب لم تهدأ ، وتخليط لم يسكن ، وأراد الأمير أبو المعالي إنكار ذلك ، فمنعه قرغويه وطاح دم الرجل " .

قال : وحدثني أبو الحسن أن أبا محمد الصلحي ؛ وكان أبوه يكتب لأبي فراس أيام ملكه ، حدثه بمثله على غير هذا ، وجملته : أنه أسر فجاء وهو أسير راكباً فما شاهدته طائفة من غلمان سيف الدولة إلا ترجلت له ، وقبلت فخذه فلما رأى ذلك قرغويه قتله في الحال "[1] غير أن ابن الأثير يذكر أنه جرى بين أبي المعالي و أبي فراس وحشة " فطلبه أبو المعالي فانحاز أبو فراس إلى (صدر) وهي قرية في طرف البرية عند حمص فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم وسيرهم في طلبه مع قرغويه فأدركه بـــ (صدر) فكبسوه ، فاستأمن أصحابه ، واختلط هو بمن استأمن منهم ، فقال قرغويه لغلام له :

اقتله ، فقتله [بِلَتٍّ مُضَرَّسٍ فَنَزَلْ][2] وأخذ رأسه وتركت جثته في البرية حتى دفنها بعض الأعراب "[3] ويرجح ابن خلكان[4] أن أبا فراس لم يمت في ساعته تلك بل إن موته تأخر بدليل خطابه لابنته بتلك الأبيات الخمسة ، وتابعه على ذلك من المحدثين د.أحمد بدوي[5] .

(١) نشوار المحاضرة : ٢٢٦/١ ، ٢٢٧ .

(٢) تاريخ حلب : ١٥٦/١ – ١٥٧ .

(٣) الكامل : ٥٨٨/٨ .

(٤) وفيات الأعيان : ٦٠/٢ ، ٦١ .

(٥) شاعر بني حمدان : ٨٣ .

ولا أرى ذلك ؛ لأن الأبيات التي أوردها لا تدل دلالة قاطعة على أنه قالها وهو يحتضر ؛ بدليل رواية " ابن خالويه " السابقة الذكر وهي رواية الديوان فقد ذكر أنه قالها يوم مقتله قبل الحرب .

وأما الذهبي فانفرد برواية لم أر أحداً من المؤرخين شاركه فيها يقول : " وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قد طمع في تملك الشام فجاء إليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطمعوه ، فصادر أهل حمص وقتل قاضيهم أبا عمار وأخذ من داره ستمائة ألف درهم فلما أحس بأن أبا المعالي بن سيف الدولة يقصده سار فنزل على بني كلاب وخلع عليهم وأعطاهم الأموال ، ونفذ حرمه معهم إلى البرية ، ثم سار أبو المعالي وقرغويه الحاجب إلى سلمية فاستأمن إلى أبي المعالي جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس فقال : قد أخليت لهم البلد ، ثم سار قرغويه وأحاط به فقاتل أشد قتال ومازال يقاتل وهم يتبعونه إلى ناحية (جبل سنير) فتقنطر به فرسه بعد العصر فقتلوه "[(١)]

وقد اختلفت الروايات كذلك في سنة الوفاة ، وتحديد الشهر واليوم فنقل صاحب شذرات الذهب عن ثابت بن سنان الصابي أنه في يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلاثمائة[(٢)] وهو في هذا قد وافق التنوخي الذي ذكر أن عمره

---

(١) تاريخ الذهبي ٨٨ و، ظ – ٨٩ و عن الديوان ٤٧٧/٣ ، ٤٧٨ .

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العمار الحنبلي – دار المسيرة بيروت – ط٢ : ٢٥/٣ .

يوم مقتله أربعون سنة أو سبع وثلاثون ونحوها[(١)] أما ابن الأثير فيختلف مع الصابي في الشهر ، فيذكر أنه قتل في شهر ربيع الآخر[(٢)] ، وأما ابن العديم فذكر شهر ربيع ولم يحدد أي الربيعين[(٣)] .

وخالفهم جميعا الإمام ابن كثير وذكر وفاته في سنة ٣٦٣هـ عن ثمان وأربعين سنة[(٤)] وذكر بيتين نسبهما لـ "سيف الدولة " وأنه رثى بهما " أبا فراس "

المرءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ لا تنقضِي حتى يُوارَى جِسمُه في رِمْسِهِ
فمؤجَّلٌ يلقى الردى في أهلِهِ ومُعَجَّلٌ يَلقى الأذى في نفسِهِ

وفي هذه الرواية نظر ؛ ذلك لأن ابن كثير ذكر وفاة سيف الدولة في سنة ست وخمسين وثلاثمائة[(٥)] فكيف يرثي أبا فراس إذا كان قد مات سنة ٣٦٣هـ - كما يذكر هو - والحقيقة أن البيتين لأبي فراس وهما في ديوانه[(٦)] .

وذكر ابن خالويه عبارة أصبحت مصدر إشكال بين الباحثين ؛ حيث تناقلها معظم المؤرخين دون تدقيق في فهمها ، وهي قوله :

---

(١) نشوار المحاضرة : ٢٢٥/١ ، ٢٢٦ .
(٢) الكامل : ٥٨٨/٨ .
(٣) تاريخ حلب : ١٥٦/١ - ١٥٧ .
(٤) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير- دار الفكر- بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م : ٢٧٨/١١.
(٥) المصدر السابق : ٢٦٥/١١ .
(٦) الديوان : ٢٣٣/٢ ، ٢٣٤ .

" قال غيره : وكان أبو فراس خال أبي المعالي ، وقلعت أمه (سخينة) عينها لما بلغها وفاته ، وقيل إنها لطمت وجهها ، فقلعت عينها[١] حيث يدل ظاهر هذا النص على أن أبا فراس توفي قبل أمّه ، وفي ديوانه ما يثبت موتها قبله ؛ فقد رثاها بقصيدة مطلعها[٢] :

أيا أم الأسير سقاك غيث ... بكره منك ما لقي الأسير

ولذلك شكك بعض النقاد في صحة نسبة هذه القصيدة للشاعر ، والواقع : أنه لا داعي للتردد في نسبة القصيدة للشاعر بعد أن روتها ثماني نسخ خطية – كما يذكر محقق الديوان[٣] – كما أن الصفدي[٤] حل الإشكال في العبارة السابقة فقال: " كان أبو فراس خال أبي المعالي ، فلما بلغت وفاته أم أبي المعالي لطمت وجهها وقلعت عينها "[٥] .

وهكذا يقضي (أبو فراس) إلى منيته التي توقعها بقوله[٦] :

---

(١) وفيات الأعيان : ٦١/٢ .
(٢) الديوان : ٢١٦/٢ .
(٣) الديوان : ٢١٥/٢ ، ٢١٦ .
(٤) هو صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي ، أديب ، مؤرخ ، كثير التصانيف الممتعة ، ولد في صفر سنة ٦٩٦هـ وتوفي في دمشق سنة ٧٦٤هـ له زهاء : مائتي مصنف منها : جناس الجناس . (انظر هدية العارفين : ٣٥١/١ – ٣٥٢) .
(٥) الوافي بالوفيات ؛ عن الديوان وأخذها عن نسخة (استراسبورغ = رقم 30.أد) وقد صدرت بمقدمة الصفدي (ورقة١) : ٢١٦/٢ ، ولم أجد هذه المعلومة في الكتاب المحقق .
(٦) الديوان : ٣٥/٢ .

وقـد عَلِمَـتْ أمـي بـأنّ منـيَّتي بِحَـدِّ سِـنانٍ أو بِحَـدِّ قَـضِيْبِ

وما كان لمثله أن يموت إلا على صهوة جواد .

القسم الثاني : الرُّومِيَّاتُ

تمهيد :

أ – تسميتها .

ب _ الروميات مرآةٌ لنفس أبي فراس .

ج – هذه الدراسة .

د – أثر الأسر في الروميات .

هـ – التوثيق .

أولاً : الدراسة الموضوعية

(الأغراض الشعرية)

ثانياً : الدراسة الفنية

أ – في المضمون .

ب – في الشكل .

التمهيد

(أ) تسميتها :

اصطلح الأدباء والمؤرخون القدامى والمحدثون على تسمية أشعار أبي فراس التي شدا بها في أسره بــ (الروميات) نسبة إلى البيئة التي قيلت فيها ؛ فالثعالبي أطلق هذه التسمية الاصطلاحية وأفردها في يتيمته بكلام خاص لتميزها عن فنونه الشعرية الأخرى من قبل(١) ، وسارت هذه التسمية بين الأدباء والمؤرخين ، غير أني وجدت ابن شرف القيرواني من القدامى يسميها :

(الأسريات)(٢) نسبة إلى الأسر الذي قضى فيه الشاعر شطراً من حياته.

ومن المحدثين (نبيلة إبراهيم)(٣) التي أوجدت مصطلحاً للرومية أخرجت به (روميات أبي فراس) عن هذه التسمية ، وتنص على أن الرومية " هي ماقيلت في الروم أنفسهم ، وفي حروبهم مع العرب " .

ولكن هذا القول يحتاج إلى نظر ومناقشة ، فإذا ذهبنا إلى هذا الاصطلاح نجد أنه من الطبيعي أن نضم (روميات أبي فراس) إلى ما أطلق عليه فن الرومية لأن الحرب تشمل الانتصار ، كما تشمل الهزيمة ، وتشمل الأسر أيضاً ، وكل شعر يعبر عن نصر

---

(١) اليتيمة : ١/٨٥ .

(٢) أعلام الكلام أو رسائل الانتقاد : ٢٥ .

(٣) روميات المتنبي (المقدمة) : ٥ عن كتاب : أبو فراس الحمداني حياته وشعره : ٢٧٣ ، وهي رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة رقم ١٩٥٤/٢٧ .

أو هزيمة أو أسر يمكن أن نعده من (الروميات) ، بناء على اعتبارها معبرة عن الصراع بين العرب والروم ، ونتيجة من نتائجه ، وبهذا يكون مفهوم الروميات أشمل ، فيصور الحرب ونتائجها ، يضاف إلى هذا أن تسمية الشعر ونسبته إلى البيئة التي قيل فيها لا ضير فيه[(١)] .

(ب) (الروميات) مرآةٌ لنفسِ (أبي فراس) :

نقف في هذه الدراسة على أروع ما قال شاعرنا أبو فراس " تلك البدائع التي عرفت في تاريخ الأدب العربي باسم (الروميات) وهي تصور نفسية أبي فراس أدق تصوير ، وتقفنا على تقلبه بين أمواج الرجاء واليأس ، الرجاء في العودة إلى الوطن الذي وقف حياته عليه واليأس من رؤية هذا الوطن كرة ثانية ، وبقائه رهين الأسر والقيد ، وتعكس زفرات الرجاء واليأس ، ووقدة العواطف الثائرة ، والنفس الأبية ، والحنين الجارف الذي كان يتدفق من روح شاعرنا ؛ ليؤلف لحناً في قصة الشاعر ونكبة البطل ، وقد امتزجتا فألفتا كلا متجانساً ، ومن ثم خرج العمل الأدبي خلقاً جديداً ، وصنيعاً وجدانياً يزخر بالروح الإنسانية الخالدة ، ويفيض بالواقع المعيش "[(٢)] ولقد قرأتها ورحت أتأملها بعين الإعجاب والاعتزاز ؛ فأعجب لهذه الشاعرية الفذة ، التي تدفقت بهذا النهر الشعري العذب ، وقد جسدت مكنونات قلب الشاعر ،

---

(١) انظر (أبو فراس حياته وشعره) : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٢) النقد التطبيقي والموازنات د.محمد الصادق عفيفي – مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م – ص ٢٩٩ .

وفاضت بكل خلجة من خلجات نفسه حتى غدت صورة كاملة لا نقص فيها ، لنفسه ومشاعرها .

والأدب العربي يعتز بنسبة هذا الشعر إليه ؛ لأنه يمثل اتجاهاً مهماً ذاك هو الاتجاه الوجداني ؛ الذي ينطلق فيه الشاعر عن صدق وعفوية لا تأسره المحسنات البديعية ولا تطغى عليه النواحي الشكلية ، بل هو تعبير عن الذات ، وصدق من قال : إنه أشبه بمذكرات يومية يبث فيها الشاعر همومه ، ويناجي فيها نفسه .

وقد أشاد أبو منصور الثعالبي بهذه الروميات فقال بعدما سرد عدداً منها: " قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشاعرها . ولاسيما (الروميات) التي رمى بها هدف الإحسان ، وأصاب شاكلة الصواب ولعمري إنها – كما قرأته لبعض البلغاء – لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، أو استدعى به الطير نزلت[1] " وكانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه، والتبرم بحاله ومكانه عن صدر حرج وقلب شجٍ فتزداد رقة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفظ لسلاستها "[2] .

---

(١) اليتيمة : ١/١١٢ .

(٢) اليتيمة : ١/٨٥ .

(د) أثر الأسر في " الروميات " :

لابد أن يؤثر الأسر في نفس صاحبه ، وأبو فراس حين يصدح برومياته ينطلق من نفسه .. ولذلك يثبت تأثير الأسر في رومياته .

ولكن من أي النواحي كان هذا التأثير ؟

أولاً : العاطفة المشبوبة التي صدرت عنها (الروميات) بسبب ضغط الأسر عليه وما يتبعها من رقة وشدة .

ثانياً : بروز عدد من الموضوعات التقليدية في ثوب جديد حيث اقتحمتها نفس أبي فراس فأحالتها خلقاً جديداً .

ثالثاً : هذه الجودة التي امتازت بها الروميات عن غيرها من شعره ذلك لأن " ملكة الشعر تتجلى بأبهى مظاهرها وأجملها عند وقوع الشاعر في حالة نفسانية تثير مشاعره "(١) . وهل هناك عوامل وظروف أشد مما وقع لذلك الأمير الشاب والشاعر الرقيق .

أما تصوير البيئة الغريبة عنه والتي " كان من الطبعي أن تترك ألواناً جديدة فيه فذلك لم يظهر في شاعرية الأسير ، وقد يكون من أسباب عدم تأثره بالروم :

١ – انعزاله عن دنياهم لكونه سجيناً .

٢ – بغضه لهم .

٣ – احتكاكه بهم لا يكون إلا بواسطة المترجمين .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي : ٦٦/٣٣ عن كتاب : أبو فراس الحمداني حياته وشعره ص : ٢٧٦.

٤ – انهماكه بالفداء .

٥ – عدم ازدهار الشعر البيزنتي في القرن العاشر الميلادي أي زمن الشاعر "[١] .

ويقول المستشرق كارل بروكلمان : " ولم يكن لحبس أبي فراس عند الروم تأثير في شعره بطبيعة الحال ، أما قصيدته[٢] الجدلية التي يرد بها على الدمستق حين طعن في العرب وأنكر عليهم خصائص الحرب ومناقبها ، فإنه لم يزد على أن حشد سلسلة من أسماء الأماكن الرومية التي تركها الثعالبي[٣] حين ذكر القصيدة "[٤] ولعل المستشرق يقصد التأثر اللغوي وليس التأثر النفسي الذي نتج عنه ما سبق أن ذكرته .

(هـ) التوثيق :

اعتمدت في دراستي للروميات على ديوان أبي فراس برواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه ؛ ذلك لأنها تعدُّ موثوقة برواية هذا العالم الذي كانت له صلة وثيقة بالشاعر ، فقد كان من معاصريه بل من مؤدبيه وأصحابه المقربين ، يقول ابن خالويه في مقدمته للديوان:

---

(١) " أبو فراس الحمداني " دراسة في الشعر والتاريخ / جورج غريب ، دار الثقافة – لبنان – بيروت ط٣ ١٩٧٥م ، ص : ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) الديوان : ٣٦/١ .

(٣) اليتيمة : ٥٧/١ .

(٤) تاريخ الأدب العربي–كارل بروكلمان– ترجمة د.عبدالحليم النجار– دار المعارف ط٤ ١٩٧٧م:٩٣/٢ .

" وما زال – رحمه الله – إيجاباً لحق الأدب ، ورعاية للصحبة ، وعلماً بأهل المحافظة ، يلقي إلي دون الناس شعره ، ويحظر عليّ نشره ، حتى سبقني وإياه الركبان ، فجمعت منه ما ألقاه ، وشرحته بما أرجو أن يقرنه الله عز وجل بالصواب والرشاد ، بمنه وطَوْله وقوته وحوله "[1] والحق أن شروح ابن خالويه وتعليقاته على القصائد والمقطعات كانت ذات أهمية كبرى ، وفائدة عظمى ؛ ذلك لمعرفته بتاريخ بني حمدان باعتباره مقرباً من أمرائهم ، ولذلك فإني أفدت من ذكر المناسبات التي أوردها والحوادث التي سردها في معرفة تاريخ الأبيات وفهم معانيها .

وإذا كان لابن خالويه فضل جمع الديوان وشرحه فإن للدكتور سامي الدهان فضلاً كبيراً يشكر عليه ، لما قام به من جمع نسخ الديوان وتحقيقه التحقيق العلمي الذي زاد من قيمته ، وأبرز مكانته ، وكان له أكبر الأثر في تيسير البحث والدراسة لشعر أبي فراس ، وقد حققه من أربعين مخطوطة ، وأترك للمحقق مجال الحديث ليصف تحقيقه؛ يقول :

" إني بنيت هذه الطبعة على نسخة (برلين) " رقم . ٧٥٨ " جعلتها مثابة [الأم] أعارض عليها بقية المخطوطات والمراجع ، فجعلت في المتن أصح الروايات في نظري وأثبتها في رأيي ، وأقربها إلى لغة (أبي فراس) وروحه ونفسه ، وأثبت في الحواشي بقية الروايات المتعارضة ، و لم أذكر من كل طائفة إلا نسخة أو نسختين حين يغني ذلك عن ذكر المخطوطات الباقية ، لئلا أثقل الحواشي والهوامش ، وأهملت ذكر الأخطاء والتصحيف البين في كثير من الأحيان لقلة غنائه .

---

(١) الديوان مقدمة ابن خالويه : ٢/٢ .

وضبطت شعر أبي فراس ونثر ابن خالويه بالشكل الكامل، ورقمت القصائد بالتسلسل ورقمت أبيات كل قصيدة مستقلة عن غيرها .

واضطررت إلى وضع أرقام غربية في النشر لحاجة الطبعة إلى تنويع الأرقام ليس غير.

وجعلت الفهارس لبيان الكتب التي راجعتها ، والشعر الذي تضيفه الطبعة ، ولتسهيل مراجعة القصائد بالبحور أو بالقوافي ، أو بالمعاني الشعرية ، أو بالموضوع العام، ولذكر أعلام الأشخاص والأماكن والأمم والبيوت التي وردت في الطبعة "[١] ولا شك أن هذه العناية جعلتني أثق بنصوص الديوان من حيث الصحة والضبط ، وقد يسرت لي الانتفاع بكل ما فيه بما حوته من الفهارس .

و (الروميات) - موضوع الدراسة - جاءت مبعثرة في الديوان كله نظراً لأنه يسير في تنظيمه على حروف المعجم في الروي ، لا على الزمن التاريخي وقد اجتهدت أن أحددها مستعيناً بما نص عليه المحقق في الفهارس وبإشارات (ابن خالويه) التاريخية وتعليقاته على القصائد والمقطعات وبما أورده صاحب اليتيمة منها ، وحين تم لي ذلك - ولله الحمد - تحصل لدي سبع وأربعون قطعة شعرية منها أربع وعشرون قصيدة وثلاث وعشرون مقطعة تضم ثلاثة وعشرين وثمانمائة بيت من الشعر .

وقد ذكر د.عبدالجليل عبدالمهدي أن عددها " نحو خمس وأربعين قصيدة ومقطوعة منها نحو خمس عشرة مقطوعة "[٢] ولعل له اصطلاحاً في المقطعة غير ما أعرف ..!

وأكتفي بإثبات أرقام القطع كما وردت في الديوان بتحقيق د.سامي الدهان :

---

(١) مقدمة المحقق : ٢٧ .

(٢) حياته وشعره : ٢٧٤ .

١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٨٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٣٢ ، ٣٦٣ .

ومن المعلوم تاريخياً أن الروميات قيلت في مدة الأسر (٣٥١هـ - ٣٥٥هـ) حيث بدأت تصدر عن قلب أبي فراس ولسانه منذ بداية الأسر ؛ حين أرسل إلى سيف الدولة يسأله المفاداة منذ دخوله دار الأعاجم بداليته ومطلعها[(١)] :

دعوتك للجفن القـريح المسـهد لديّ وللنـوم القليـل المـشرد

ويمكن تحديد تاريخ بعض القصائد بدقة بالرجوع إلى شرح ابن خالويه وإشارات أبي فراس في شعره ، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - قول ابن خالويه : " وفي سنة ٣٥٤هـ توفي أبو المكارم ابن سيف الدولة فرثاه أبو فراس بقصيدة مطلعها[(٢)] :

ياعَمَّر الله (سيفَ الدِّينِ) مغتبطـاً فكلُّ حادثةٍ يرمـى بها جَلَـلُ

ومن إشارات أبي فراس[(٣)] :

أقمت بأرضِ الروم عـامين لا أرى من النَّاس محزوناً ولا متـصنعا

فهذا البيت يدل على أن القصيدة قيلت سنة ٣٥٣هـ لأن الأسر كان عام ٣٥١هـ .

(١) الديوان : ٢/٧٨ .
(٢) الديوان : ٢/٢٧٥ .
(٣) الديوان : ٢/٢٤٧ .

ولعل الرومية الوحيدة التي حصل تشكيك في نسبتها إلى أبي فراس هي رثاؤه لأمه والتي مطلعها[(١)] :

أيــا أم الأســير ســقاك غيــث   بكره منك مــا لقــي الأســير

وقد أثبتُّ صحة نسبتها في موضع سابق من البحث في ذكر وفاة الشاعر[(٢)] وأما اختلاف الروايات في الرومية الواحدة فكثير ، ومن ذلك الرائية الشهيرة فقد اختلفت الروايات في عدد أبيات القصيدة ، وروايتها ، فعددها واحد وثلاثون بيتاً في مخطوطة (المكتبة الأحمدية) في (حلب) وتسعة وثلاثون بيتاً في طبعتي (بيروت) وستة وأربعون بيتاً في مخطوطة برلين (رقم ٧٥٨٠) وخمسون بيتاً في (أعيان الشيعة) ، وأربعة وخمسون بيتاً في طبعة (الدهان)"[(٣)] وكما اختلف في عدد أبياتها ، اختلف في مطلعها فقيل مطلعها:

مرام الهوى صعب وسهل الهوى وعر   وأوعر ما حاولته الحب والهجــر

خلافاً لمطلعها الشهير :

أراك عصي الدمع شــيمتك الــصبر   أما للهوى نهي عليك ولا أمــر

وقد اعتمدت على ما انتهى إليه المحقق واختاره .

---

(١) الديوان : ٢/٢١٦ .

(٢) ص : ٤٥ .

(٣) الديوان : ٢/٢٠٩ – ٢١٠ .

أولاً : الدراسة الموضوعية

الأغراض الشعرية :

١ – الحماسة والفخر .

٢ – المديح والعتاب .

٣ – الشكوى والحنين .

٤ – الإخوانيات .

٥ – الغزل .

٦ – الرثاء .

٧ – الحكمة .

٨ – الهجاء .

مدخل :

ذكر أبو فراس أهم أغراضه الشعرية في مقطوعة نظمها قبل أسره فقال :

الـشِّعْرُ ديـوانُ العَـرَبْ ... أيـضاً وعنـوانُ الأدَبْ
لم أعـدُ فيـهِ مفـاخري ... ومـديحَ آبـائي النُّجُـبْ
ومقطعـات ربَّمـا ... حَلَّيْـتُ مِـنْهُنَّ الكُتُـبْ
لا في المديحِ ولا الهجـ ... ـاءِ ولا المجونِ ولا اللَّعِبْ

وهذه المنظومة لم تحصر أغراض أبي فراس قبل أسره ولا بعده فإن ديوانه – قبل الأسر – يحفل بالكثير من الأغراض الشعرية كالغزل بالمؤنث والمذكر والحكمة والرثاء والتشيع وأرجوزة في الصيد ، إلى جانب ما ذكر .

وبعد الأسر برزت أغراض وتطورت أغراض أخرى ، أعرض لها في هذه الدراسة مبيناً سماتها العامة بعد ضرب الأمثلة الكثيرة التي تجليها للقاري .

وقد قسمت (روميات أبي فراس) حسب موضوعاتها إلى ثمانية أغراض ، ورتبتها بحسب شيوع الغرض وغلبته :

١ – الحماسة والفخر .
٢ – المديح والعتاب .
٣ – الشكوى والحنين .
٤ – الإخوانيات .
٥ – الغزل .
٦ – الرثاء .
٧ – الحكمة .
٨ – الهجاء .

١- الفخر والحماسة :

يعد غرض الفخر أبرز الأغراض الشعرية في روميات أبي فراس ، ولا عجب " فأبو فراس أمير جَمَعَ إِلَى الشَّبَابِ والفُتُوَّةِ رِفْعَةَ المَكَانَةِ ، وعِزَّةَ المُلْكِ فأبوه : سعيد بن حمدان، وأعمامه الحسين وسلمان وأبو الهيجاء ، وهم [من ذكروا] من العزة والمنعة والقوة ... وابن عمه سيف الدولة الأمير المظفر الكريم وأبو فراس إلى ذلك كله محارب ماهر خاض المعارك ، وفتح القلاع ودك الحصون ، وقرع أبواب الروم غير مرة ، ثم إنه تربى في حجر سيف الدولة فهيأ له من وسائل التأديب والتعليم ما لم يتوافر لغيره مما مهد له السبيل إلى هذا اللون البهيج من الحياة الأدبية الزاهرة الزاهية المترفة "[١] والحماسة : " هي أقرب الفنون إلى روح أبي فراس ، لاعتداده بفروسيته ، ولكونها قسماً من الفخر ، ومجالاً للتمدح ، فلذلك تراها تحتوي على معظم خصائص الحمداني الشعرية "[٢] ولغلبة هذين الغرضين على نفس أبي فراس الأسير لا تكاد رومية من رومياته تخلو منهما ، على اختلاف في الإيجاز والإطناب .

ولعل للأسر ، وما جر على نفسية أبي فراس الفارس من عيش نكد وحياة بئيسة فقد فيها جل ما كان يتمتع به من سلطان وثراء ، وصولة وجولة في ميادين الحروب بيده ولسانه ، وإن كان لم يفقد صبره وجلده وعزته[٣] :

ولم يَبْقَ مني غيرُ قلبٍ مُشيّعٍ   وعودٌ على مرِّ الزمانِ صَليبُ

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ٢٣٦ .

(٢) أبو فراس – جورج غريب – : ٧٢ .

(٣) الديوان : ٣٥/١ .

لعل لهذه الآلام أكبر الأثر في شحذ شاعرية أبي فراس وتجنيدها للرفع من شأن هذه النفس العزيزة المنكسرة ، وإن كان القضاء سبق بأن تذوق من الأسر وطعم الحرمان ؛ فيكون فخره بمثابة التعويض الذاتي .

"ولعل تَيَتُّمَهُ في حداثة سنه الذي حرمه عطف والده وجفاوة المتزلفين دعاه إلى الفخر ، استعاضة عن مديح الشعراء"(١) وتنوع الفخر عند أبي فراس ومازجته الحماسة؛ فقد افتخر بنفسه ؛ بفروسيته ، وشمائله ، وبشعره ، وبقومه ؛ وهو قليل نظراً لتنكرهم له ؛ فقد تأخر فداء سيف الدولة له وكثرت وعوده الكاذبة ، والتفت إلى بعض أقاربه، فلم يجد إلا الصدود منهم ، ثم التفت إلى أصحابه ، فلم يجد منهم أكثر مما وجده من أقاربه ، ولذلك قل فخره بغير نفسه .

ولعل المقطعة التالية تبين إلى أي مدى كان سوء العلاقة بين أبي فراس و (بني حمدان) ، مع أن محقق الديوان يشير إلى أنها لا توجد في نسخ كثيرة ، لأن النساخ أحباب أبي فراس شاءوا أن يبعدوا عنه تهمة التفكير بغير بني حمدان فحذفوها.يقول(٢) :

أبا المَنْصُورِ خَانتني ثِقَاتي ... فمهِّدْ لي على العَدَوِيِّ سَرْجي
" بنو حمدان " حُسَّادي جميعاً ... فمالي لا أزورُ " بني طغُجٍّ "(٣) ؟!
أحُجُّ إليهمُ حَجَّ اعتضادٍ ... بعقْوَةِ عُمْرِهم ، فَيَبُرَّ حَجِّي

(١) الفخر والحماسة لـ حنا فاخوري – دار المعارف – ط٣ : ٣١ .
(٢) الديوان : ٥٧/٢ .
(٣) هم الإخشيديون في مصر .

وموقفه هذا يذكّر بالشاعر الفحل (علي بن المقرب العيوني) من بني عمه العيونيين.

ويبرز من بين مفاخره المختلفة فخره بنفسه ، وإدلاله بفروسيته وشمائله حيث لم يترك صفة عظيمة من صفات الفارس العربي النبيل إلا وأضفاها على نفسه كأكرم وأبهى ما تكون .

وهاهو ذا يعرض عدداً من شمائله وأخلاقه العليا ، يقول[١] :

وأنا الذي ملأَ البسيطةَ كلَّها ناري وطَنَّبَ في السماءِ دُخَاني
مازلتُ أكْلأُ كُلَّ ثَغْرٍ مُوحِشٍ أبداً بمقلةِ سَاهرٍ يقظانِ
سَلاَّكُ كلِّ عظيمةٍ ورَّادُها ضَرَّابُ هاماتِ العدا طَعَّانِ
إن لم تكنْ طالتْ سِنيِّي فإنَّ لي رأيَ الكهولِ ونجدةَ الشُبَّانِ

وحين تتداعى الخطوب على قلب المُعَنَّى ، وتشتد وطأها على نفسه فإنه[٢] :

صبورٌ ولو لم تبقَ مني بقيةٌ قؤولٌ ولو أنَّ السُّيُوفَ جَوابُ
وقورٌ وأحْدَاثُ الزَّمانِ تنوشني وللموتِ حَولي جيْئَةٌ وذَهَابُ

ومن أبرز المعاني التي ألح عليها الشاعر في فخره : اعتداده بنفسه وأنه لا يمكن أن يسد مكانه شخص آخر أيّاً كان وقد بدأ هذا في أولى رومياته التي أرسلها إلى سيف الدولة فقال[٣] :

---

(١) الديوان : ٤٠٩/٣ .
(٢) الديوان : ٢٢/٢ .
(٣) الديوان : ٧٩/٢ – ٨٠ . والمهلهل : الرجل الثقيل .

متى تخلفُ الأيامُ مثلي لكم فتىً ... طويلَ نجادِ السَّيْفِ رَحْبَ المُقَلّدِ
متى تلدُ الأيامُ مثلي لكم فَتَى ... شديداً على البأساءِ غيرَ مُلَهّدِ

وحين نتتبع هذا المعنى في عدد من رومياته نجده قد تكرر بأساليب متعددة تنضح بالعزة والغيرة أحياناً وأمثلة ذلك قوله[١] :

واستبدلوا بعدنا رِجَالَ وغى ... يَوَدُّ أدنى علاي أمثلُها

وقوله[٢] :

إني أغارُ على مَكَانيَ أنْ أرَى ... فِيْهِ رجالاً لا تَسُدُّ مكاني

وقوله[٣] :

أعزز عليَّ بأن يُحَلَّ بموقفي ... ويُحَلَّ بين المسلمين مكاني

وقوله[٤] :

يَضِيْقُ مكاني عن سوايَ لأنني ... على قمَّةِ المجدِ المُؤَثَّلِ جالسُ

وهذا التكرار لمعنى واحد يعد ظاهرة في الروميات تسترعي النظر!!

---

(١) الديوان : ٣/٣٣١ .
(٢) الديوان : ٣/٤١٠ .
(٣) الديوان : ٣/٤٠٩ .
(٤) الديوان : ٢/٢٣٥ .

وإني أتوقع أن السبب في هذا الإلحاح من أبي فراس هو : إبراز حاجة دولة بني حمدان له شخصياً ، حتى ينفي عن أذهانهم فكرة ربما تراود عقولهم وهي : لماذا نكلف الدولة مالا تطيق من الفداء ؟؟! ورجل يبدله رجال ! . وإن نفسية أبي فراس المليئة بالاعتزاز ، والأنانية – أحياناً – لترفض أن ينافسها أحد في مكانتها .

وأشد فخر أبي فراس ما كان على الروم وأقواه هذا الحوار الذي دار بين الشاعر والدمستق في بطولة العرب ، إذ ينبري أبو فراس فيعدد القواد الذين نكبهم الحمدانيون وأفنوهم قتلاً وأسراً ، وفيه كلام شديد قوي اللهجة ومنه هذه الأبيات[(١)] :

فَويلَكَ مَنْ لِلحَرْبِ إنْ لَمْ نكنْ لَهَـا ... وَمَنْ ذَا الَّذي يُمْسي وَيضْحي لها تُرْبَـا
وَمَنْ ذا يَلُفُّ الجَـيْشَ مِـن جَنَبَاتِـهِ ... ومن ذَا يقودُ الشُّمَّ أو يَـصْدِمُ القَلْبَـا

" على أن أروع وأبرع ما أنشد أبو فراس في أسره ، بل أقول إن أروع ما قال في شعره : تلك القصيدة الرائية ؛ التي منحها ذوب نفسه وصبَّ فيها حرّ عاطفته ، فمزج فيها بين الغزل والفخر ، ربما لم يستطع شاعر آخر أن يلحق به في جمالها ورقتها "[(٢)] ومطلعها[(٣)] :

أراك عصي الدمع شيمتك الـصبر ... أما للهوى نهـي عليـك ولا أمـر

وبعد أن استرسل في مقدمة غزلية رائعة " مزج فيها أبو فراس بين الحب والفخر ، وبين الهيام والعزة ، ويخلص إلى الفخر الصميم مجرداً عن عواطف الغرام ، ويطلب من

---

(١) الديوان : ٢/٣٦ .
(٢) فنون الشعر : ٢٥٨ .
(٣) الديوان : ٢/٢٠٩ .

هذه المعشوقة ألا تنكره لشجاعته في قيادة الكتائب التي لا تخوض معركة إلا والنصر حليفها "(١) ثم يقول(٢) :

وإنّي لَجَرّارٌ لكلِّ كتيبةٍ مُعَوَّدَةٍ ألا يُخِلَّ بها النَّصْرُ
وإنّي لَنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ كثيرٌ إلى نُزَّالِها النَّظَرُ الشَّزْرُ
فأظْمأُ حتَّى ترْتوي البيضُ والقَنَا وأسْغَبُ حتَّى يشبعَ الذِّئْبُ والنَّسْرُ

وتبرز من خلال أبياته روح عنترة بن شداد وهي روح الفارس العربي العفيف وتلازمه " في حديثه عن العزة والمنعة واقتحام الديار ويتمثل أخلاق الأمراء والأشراف حين يغزون فلا يهتكون عرضاً ، ولا يدنسون طاهرة "(٣) :

وساحبةُ الأذيال نحوي لقيتُها فلم يَلقها جَهْمُ اللقاء ولا وعْرُ
وهبتُ لها ما حازه الجيشُ كُلُّهُ ورُحتُ ولم يكشفْ لأثوابِها سِترُ

وفي نظر كثير من الناس يعد الأسر دليلاً على الضعف والخور ، وأين هما من روح أبي فراس ، لقد حاول أبو فراس في هذه القصيدة رفع هذه التهمة عنه ، وسوغ وقعة الأسر تسويغاً جعل من أسره مفخرة عُليا له ؛ حيث اختار الأسر على الفرار ، وحلل ما وقع " تحليلا جميلاً فيه حكمة وفلسفة "(٤) فقال(٥) :

---

(١) فنون الشعر : ٢٦١ .
(٢) الديوان : ٢/٢١١ ، ٢١٢ .
(٣) فنون الشعر : ٢٦٢ .
(٤) فنون الشعر : ٢٦٣ .
(٥) الديوان : ٢/٢١٣ .

أُسِرتُ وما صَحْبي بعُزْلٍ لدى الوغى ... ولا فَرَسِي مُهْرُ ولا رَبُّهُ غمرُ
ولكن إذا حُمَّ القضاءُ على امرئ ... فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
وقالَ أصَيْحَابي الفرارُ أو الرَّدَى ... فقلت هما أمران أحلاهما مُرُّ
ولكنني أمضي لما لا يَعِيبُني ... وحَسْبُكَ من أمرينِ خَيْرُهُما الأَسرُ
يقُولُونَ لي : بِعتَ السَّلامة بالرَّدَى ... فقُلتُ : أمَا واللهِ مَا نَالني خُسْرُ
وهل يَتَجَافى عَنِّي المَوتُ سَاعَةً ... إذا ما تَجَافى عَنِّي الأسْرُ والضُرُّ
هو الموتُ ، فاخترْ ما علا لكَ ذِكْرُهُ ... فلمْ يَمُتِ الإنسانُ ماحَيِيَ الذكرُ

والقصيدة تحمل معاني كثيرة لا سبيل لإبرازها جميعها ، ولكن ونحن في الطريق إلى إيراد نماذج من فخره بآبائه وأجداده لابد أن نورد خاتمة هذه القصيدة الرائعة ، حيث حشد في الأبيات الثلاثة الأخيرة منها " كل ما جاش بنفسه من أطراف الفخر وجمع كل ما تصور في نفسه وقومه من معاني العزة والمنعة ، بحيث لا ينبغي لواحد منهم أن يعيش إلا سيداً ، فإما أن تكون لهم الصدارة وإلا فالقبور أولى بهم وأكرم لهم ، ويرسل بيته المشهور وحكمته الذائعة وقولته الرائعة "[(١)] :

ونحنُ أناسٌ لا توسط عندنا ... لنا الصدرُ دون العالمين أو القبر
تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومن خطب الحسناء لم يُغْلِهَا المَهْرُ
أعزُّ بني الدنيا وأعلى ذوي العلا ... وأكرمُ مَن فوقَ الترابِ ولا فخرُ

وهو في فخره بخصاله وشجاعته يضفي على أشعاره أوصافاً ترفع من شأنها وتعليها، وتناسبها في نظره وفي نظري كذلك .

---

(١) فنون الشعر : ٢٦٤ .

فقد سماها (قلائد) و (روائع) فقال[١] :

مَنَعْتُ حِمَى قومي وسُدْتُ عَشِيْرتي   وَقَلَّدْتُ أهْلِي عِزَّ هذِي القَلائِدِ

وقال[٢] :

هل تبلغُ القَمَرَ المَدْفُونَ رَائِعَةٌ   من المقالِ عليها للأسى حُلَلُ

والأسر الذي كبل يديه عن القتال لا يستطيع أن يصل إلى لسانه[٣] :

إن يمنعِ الأعَدْاءُ حَدَّ صوارمي   لا يمنع الأعداءُ حدَّ لساني

ويفخر بلسانه فيقول[٤] :

جناني ما علمت ، ولي لسانٌ   يقدُّ الدرعَ والإنسانَ عَضْبُ

ويمزج بين فخره بلسانه ويده فيقول[٥] :

وإن تفتدُوني تَفْتَدُوا لِعُلاكم   فتىً غيرَ مَرْدُودِ اللِّسَانِ أو اليَدِ
يُطَاعِنُ عن أعْرَاضِكُمْ بِلِسَانه   ويَضْرِبُ عنكم بالحُسَامِ المُهَنَّدِ

---

(١) الديوان : ٨٥/٢ .
(٢) الديوان : ٢٧٥/٢ .
(٣) الديوان : ٨٥/٢ .
(٤) الديوان : ٢٨/٢ .
(٥) الديوان : ٨٠/٢ .

سمات فخره :

لعل أبرز سمة أسجلها لأبي فراس في فخره هي : أنه اتسم بالواقعية والبعد عن شطط الخيال فهو : " شاعر مفخار ، ولكنه متزن ، عاقل ناضج الفكرة لا يقول إلا ما يستوحيه من واقع الحال لا جانح الخيال "(١) وما قدمته من أمثلة يعد شاهداً على هذا فهي " صور من الفخر تغنى بها أبو فراس وكلها صور من القوة ؛ بحيث ترسب في قرار النفوس ، ومن الروعة ؛ بحيث تعبر تعبيراً صادقاً عن نفسية قائلها ، وعن صدق إحساسه ، فإذا ما فخر بالقوة والمنعة وقيادة الجيوش ، وتحطيم الأعداء فقد كان كذلك، وإذا ما فخر بالإمارة والسيادة وكرم المولد ، وعزة المحتد ، فقد كان كذلك أيضاً ، وإذا ما فخر بالكرم والفصاحة والبلاغة فهذه آثاره تدل عليه "(٢) لذلك فإن " فخره يمتلئ بالحيوية لأنه يصور فيه واقعاً لا وهماً من أوهام الخيال "(٣)

وهناك سمة ثانية – أشرت إليها من قبل – وهي أن أبا فراس لم يفرد للفخر قصائد خاصة ، بل مزج بينه وبين بقية الأغراض وضمنه أبياتاً من الحكمة .

وسمة ثالثة ذكرها بعض النقاد مثل د.نعمان الكنعاني ؛ يقول :

" يتميز فخر أبي فراس الحمداني عن فخر الكثير من قدماء الشعر بميزة ظاهرة : هي ميزة الاعتدال ، وترك الغلو ، ذلك الغلو الذي يذهب بالسامع أو القارئ إلى

(١) شاعرية أبي فراس / نعمان ماهر الكنعاني – المطبعة ؟ : ٢١ .
(٢) فنون الشعر : ٢٦٥ .
(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٣٥٢ .

الاشمئزاز والملل ، وأحياناً إلى الازدراء للقائل والتهكم به "[١] فهو وإن كان لا يخلو من الغلو " ولكنه غير مفرط ، ولا يخلو من اللطف الذي يسمو به عن الفخر الصبياني "[٢] كما يقول الأستاذ حنا فاخوري .

– " وسلك أبو فراس في فخرياته مسلك الأقدمين من الشعراء ، فاستهل قصيدته بالمقدمة التقليدية ناهجاً نهج القصيدة العربية منذ جاهليتها ، إلا أن مقدماته اختلفت من حيث التخفف من أسماء المواضع والأشخاص والاتصاف بالرقة والسهولة "[٣] .

– لقد " كانت قصائده في هذا الباب تعداد مفاخر تزخر بعواطف الزهو والمجد وينفخ فيها نفس عال فيه من الكبرياء والعزة القومية الشيء الكثير"[٤] وتنم عن شخصية فذة لم تعرف الذل حياتها قط.

---

(١) شاعرية أبي فراس : ١٨ .

(٢) الفخر والحماسة : ٣٢ .

(٣) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني لـ د.سعود محمد عبدالجبار – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م : ١٨٢ .

(٤) الفخر والحماسة : ٣٢ .

٢- المديح والعتاب :

جمع أبو فراس بين المديح والعتاب في رومياته كأنهما غرض واحد لا يمكن الفصل بينهما . فما مدح إلا عاتب وما عاتب إلا مدح ، ولذلك آثرت أن أجمع بينهما وأفرد للشكوى مبحثاً يخصها لتفردها ببعض الروميات .

ولا يفوتني أن أذكر أن الهدف الأول هو العتاب ويأتي المديح ليلطف من حدته ، ويجعل له قبولاً في قلب المقصود به ، ويعبر عن مشاعر صادقة نحوه .

والمديح عند أبي فراس في رومياته له لون خاص غير الذي كان معهوداً عند الشعراء المداحين ، فحين تبحث عن العاطفة ستجدها صادقة لا يشوبها ما يكدرها من تعلق كاذب، وتزلف مشبوه ، ينطوي على نفسيات جائعة لا تشبع من المال وتهدر في سبيله كرامتها وشاعريتها ، وهم في زمن الشاعر كثيرون ، التفوا حول سيف الدولة يرجون نواله.

والعتاب : " من الفنون التي تجيش بالعواطف الزاخرة التي يحملها الشاعر نحو صديق كان بينهما مودة وحب ، ثم طرأ على علاقتهما ما شابها وعكر صفوها فيعمد الشاعر في عتابه إلى لون من المؤاخذة الرقيقة ؛ التي يذكر فيها ماضي ودهما ويفصل فيها ما كان يربط بينهما من علاقات طيبة في شيء من التقريع الذي يعنف حينا ، ويرق حينا ، وقد ازدهر هذا اللون من الشعر حين تشعبت الحياة الاجتماعية وتعددت نواحيها .

ولم يكن العتاب يوجه إلى الأصدقاء فحسب ، بل كثيراً ما كان يوجه إلى الأمراء وذوي السلطان ، وفي هذه الحالة يكتسي بغلالة من المديح الرقيق "(١) وهذا ما نجده في روميات أبي فراس حيث كان الممدوح والمعاتب - في أغلب الأحيان - هو سيف الدولة ، والسبب الرئيس هو تأخر المفاداة ، وهذا هو ما يشغل أبا فراس حيث يتعجب

(١) فنون الشعر : ٣٨٤ .

من تراخي ابن عمه عن بذل المفاداة ، فأخذ يرسل له كثيراً من القصائد التي تنوعت بين الرقة والهدوء حيناً والعنف والشدة حيناً آخر .

مع أن له مديحاً وعتاباً موجهين لغير سيف الدولة " ولكن هذه الأبيات والمقطوعات لا تنهض إلى شعره الذي وجهه إلى سيف الدولة[(١)] وكانت فكرة الفداء لا تفارقه فيها كما لازمته في سائر الفنون والأغراض وسأحاول أن أختار من قصائده في المديح والعتاب ما يلم بخصائصهما عنده .

في أول رومية لأبي فراس بدأ طلبه للفداء والإلحاح عليه ، ولكن فيها عزة عظيمة تشف عن نفس أبية تأبى مذلة السؤال وإن كانت ترفع من شأن المسئول[(٢)] :

دَعَوتُكَ والأبْوابُ تُرتَجُّ دونَنا ... فكُنْ خَيْرَ مَدْعُوٍّ وأكْرَمَ مُنْجِدِ
فمثلُكَ من يُدْعَى لكلِّ عظيمة ... ومِثْلِيَ مَن يُفْدَى بكُلِّ مُسَوَّدِ
ولا تَقْعُدَنْ عني وقد سِيْمَ فِديتي ... فلستَ عن الفِعْلِ الكريمِ بمُقْعَدِ
تَشَبَّثْ بها أُكْرُومَةً قَبلَ فوتِها ... وقُمْ في خَلاصي صَادِقَ العزمِ واقْعُدِ

وكان أبو فراس يعترف بفضل سيف الدولة عليه حيث حل منه مكان الوالد والمؤدب ، ويسوق اعترافاته هذه ممزوجة ببيان تشوقه لرؤيته وسائلاً للتقرب من نفس الأمير ؛ ليستعطفه عليه ومثال ذلك قوله[(٣)]:

عليَّ لسيفِ الدولةِ القَرْمِ أنعمٌ ... أوانسُ لم ينفرْنَ عنِّي ربائبُ

---

(١) شاعرية أبي فراس : ٦٧ .
(٢) الديوان : ٧٨/١ ، ٧٩ .
(٣) الديوان : ٣٢/٢ ، والقرم : السيد المعظم . وموارب : مخادع .

أأجْحَـــدُه إحـــسانَه فيَّ؟ إنَّـــني لكافرُ نُعمـــى إنْ فعلـــتُ مـــوَارِبُ
لعلَّ القوافي عُقْــنَ عَمَّـا أردتُـه فلا القولُ مردودٌ ولا العُذْرُ ناضِــبُ
ولاشَكَّ قلبي ســاعةً في اعتقــاده ولا شابَ ظَنِّي فيه قَــطُ الــشوائِبُ
يؤرِّقُني ذكْــرى لـــهُ وصَـبَابَةٌ وتجــذبُني شــوقاً إليــه الجــواذِبُ
ولي أدمعٌ طــوعى إذا مــا أمَرْتُهَــا وهُنَّ عَــواصٍ في هــواهُ غوالِــبُ
فلا تخشَ سيفَ الدولةِ القَرْمَ أنــني سِواكَ إلى خَلْفٍ من النَّــاسِ راغِــبُ
فلا تُلبَسُ النُّعْمَى وغــيرُكَ مُلْــبِسٌ ولا تُقْبَلُ الــدُّنيا وغــيرُكَ وَاهِــبُ

وكان الشاعر كثيراً ما يسلك في عتابه مسلكاً رقيقاً مؤدباً مع سـيف الدولـة ، ويعطره بالمديح الجميل بل إنه يصل حد المبالغة في استعطافه حتى لتظن في بعض أبياتها أنها ابتهال إلى الله ولذلك يستشهد بأبياتها في مجال الابتهال كثير من الناس ، يقول[1] :

أمن بَعْدِ بذلِ النفس فيمــا تُرِيْــدُه أُثابُ بِمُــرِّ العَتْــبِ حــينَ أُثــابُ
فليتَــكَ تحلــو والحيــاةُ مَرِيْــرَةٌ وليتَك ترضَــى والأنــامُ غِــضَابُ
وليتَ الذي بــيني وبينَــك عَــامِرٌ وبــيني وبــينَ العَــالمينَ خَــرَابُ
إذا نِلْتُ منْكَ الــوُدَّ فالكُــلُّ هَــيِّنٌ وكُلُّ الذي فَــوْقَ التّــرابِ تُــرابُ
فياليتَ شُــرْبِيْ مــن وَدَادِكَ صــافياً وشُرْبي من مــاءِ الفُــراتِ سَــرابُ

حتى لقد هام بها الصوفيون ونسبوها إلى (رابعة العدوية) وتغنوا بها .

(١) الديوان : ٢/٢٥ .

وكان يحاول أن يستغل كل فرصة لتذكير سيف الدولة بقضيته الأولى ، ومن ذلك: أن سيف الدولة قلد غلامه (نجا) بعض الأعمال فعصاه ثم جاءه صاغراً فعفا عنه وزاده مرتبة . فأرسل أبو فراس هذه الأبيات مذكراً ابن عمه أنه أولى بالعفو – إن كان ثمة خطأ – من هذا الغلام العاصي[١] :

جنى جانٍ وأنتَ عليه حانٍ ... وعادَ فَعُدتَ بالكرمِ الغزيرِ

صَبَرْتَ عليه حتَّى جاءَ طَوْعاً ... إليكَ وتلكَ عاقِبَةُ الصَّبُورِ

فإن يكُ عَدْلَةٌ في الجسمِ كانَت ... فما عَدَلَ الضَّميرُ عَنِ الضَّميرِ

ومِثْلُ أبي فراسٍ من تجافى ... له عَنْ فِعْلِه مثلُ الأميرِ

" وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من (منبج) تكلمه في المفادة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك عنفاً من (الدمستق) بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهاقهم "[٢] فانعكست هذه المواقف على نفسية أبي فراس فتغير ذلك الأسلوب الرقيق ، وإن لم يذهب جميعه لكنه أصبح في عتابه هذا أكثر ألماً وأقل ليناً ، فبعد أن صور مأساة أمه وما وقع لها من انكسار أمام سيف الدولة ، توجه إلى سيف الدولة بادئاً المديح ، وإن كان لا ينسى فخره بنفسه أبداً فقال[٣] :

---

(١) الديوان : ١٨٩/٢ ، ١٩٠ .

(٢) اليتيمة ٩٩/١ .

(٣) الديوان : ٣٣١/٣ – ٣٣٢ .

يا سَـيِّداً مـا تُعَـدُّ مَكرُمَـةٌ إلاّ وفي راحتَيـه أكملُهـا
ليستْ تَنَالُ القيودُ من قَـدَمي وفي اتِّباعي رِضَـاكَ أحملُهـا
أنـتَ سمـاءٌ ونحـنُ أنجمُهـا أنتَ بـلادٌ ونحـنُ أجبُلُهـا
أنتَ سَـحَابٌ ونحـنُ وابِلُـه أنـتَ يمـينٌ ونحـنُ أنملُهـا

لكنه حين يتصور ذل أمّه بين يديه ينقَضُّ عليه بعتاب كأنه تقريع يتجاهل فيه شخصيته أميراً فيقول[(١)] :

بِـأيِّ عُـذْرٍ رددتَ والِهَـةً عليـكَ دونَ الـورى مُعَوَّلُهَـا
جَاءتـكَ تمتـاحُ ردَّ واحـدها ينتظرُ النَّاسُ كيـفَ تقفلُهـا؟
تلكَ المودَّاتُ كيـفَ تُهملُهـا ؟ تلكَ المواعيدُ كيـف تغفلُهـا؟
تلكَ العقودُ التي عَقَـدتَ لنـا كيفَ - وقد أُحْكِمَتْ - تُحَلِّلُها؟
أرحامُنا منـكَ لـمْ تُقَطِّعهَـا ؟ ولم تَـزَلْ دائبـاً تُوصِّـلُها
أينَ المعالي التي عُرِفْـتَ بِهَـا ؟ تقولُهـا دائمـاً وتفعلُهـا

ثم يقارن بين حياة الأمير المترفة وحياة الأسر الكئيبة بصور تدعو للأسى والعطف، وهما مقصد أبي فراس فيقارن بين داره الواسعة وصخورهم التي يزلزلوها، وبين ثيابه الفارهة وثيابهم الصوف البالية التي لا تبدل، وبين التمتع بركوب الخيل والقيود المثقلة، ويلفت نظره إلى تلك الوجوه التي فارقها الجمال منذ أن حلت ذلك المقام السيء ... فأين أنت ياسيف الدولة[(٢)] ؟

لم يبقَ في النَّاسِ أمةٌ عُرِفَتْ إلاّ وفضلُ الأميرِ يـشملُها

(١) الديوان : ٣٣٢/٣ .
(٢) الديوان : ٢٢٣/٣ .

نحن أحقُّ الـورى برأفتِـه فأينَ عنَّا ؟ وأيـنَ مَعْـدلُها
يا منفقَ المال لا يريـدُ بـه إلا المعـالي الـتي يُؤثِّلُهـا
لا يقبلُ اللهُ قَبلَ فرضِك ذا نافلـةً عنـدَه تَنفُّلُهـا

وقد بين أبو فراس في إحدى رومياته أن السبب في طلبه الفداء هو تلك العجوز التي فقدت كل شيء بفقدها وحيدها[١] :

لـولا العجـوزُ بمنـبجٍ ما خفتُ أسـبابَ المنيـه
ولكان لي عمَّا سألْـ ـتُ من الفدا نفسٌ أبيـه
لكـنْ أردتُ مُرادَهـا ولو انجـذبتُ إلى الدنيـه
وأرى مُحَامَاتي عليـ ـها أن تضامَ من الحميـه

وإن كان عتابه قد اشتد حين ردّ سيف الدولة أمه ، فإنه وصل حد اللوم والذم أحياناً حين طعنه سيف الدولة في شهرته التي بناها على حد السيوف وصهوة الكلمة ؛ وذلك حين تأخرت عنه كتب سيف الدولة بسبب سماع الأمير " أن بعض الأسراء قال: إن ثقل هذا المال على الأمير سيف الدولة كاتبنا فيه صاحب خراسان فاتهم أبا فراس[٢] بهذا القول لأنه كان ضمن للروم وقوع الفداء وأداء ذلك المال العظيم ، فقال سيف الدولة : ومن أين يعرفه أهل خراسان "[٣] فرد عليه أبو فراس[٤] :

---

(١) الديوان : ٣/٣٣٢ .
(٢) نسب الثعالبي هذا القول إلى " أبي فراس " مباشرة ، اليتيمة : ٩٧ .
(٣) نشوار المحاضرة : ١/١١٢ والديوان : ٢/٢٥ – ٢٦ .
(٤) الديوان : ٢/٢٦ – ٢٧ .

أسيفَ الهُدَى وقَرِيعَ العرب ... علامَ الجَفَاءُ وفِيمَ الغَضَبْ
ومابالُ كُتْبكَ قد أصْبَحَتْ ... تَنَكَّبُنِي مع هذي النُّكَبْ
وأنتَ الكريمُ ، وأنت الحليم ... وأنتَ العطوفُ ، وأنتَ الحَدِبْ
وماغضَّ منِّيَ هذا الأَسَارُ ... ولكنْ خَلَصْتُ خُلوصَ الذَّهَبْ
ففيمَ يُقَرِّعُني بالخمو ... لِ مولىً به نلت أعلى الرُّتَبْ
وكانَ عتيداً لديَّ الجوابُ ... ولكن لهَيْبَتِه لَمْ أُجِبْ
وأصبحتُ منكَ فإنْ كانَ فَضْلٌ ... وإن كانَ نقصٌ فأنت السبب
وإنَّ (خُرَاسَانَ) إن أنكرت ... عُلاي فقد عرفتها (حَلَبْ)
أَلَسْتُ وإيَّاكَ من أُسْرةٍ ... وبيني وبَيْنَكَ قُرْبُ النَّسَبْ

وحين يبلغ مثل هذا العتاب الهادر سيف الدولة فإنه يغضب ويتوعد ، ويرسل عتابه المر إلى أبي فراس ؛ ليكون زيادة في ألمه فينشئ رومية أخرى تتوقد فيها عواطفه الهائجة المائجة فيقول[(١)] :

زماني كلُّه غَضَبٌ وعَتْبُ ... وأنتَ عَلَيَّ والأيامُ إلْبُ
إلى كمْ ذا العقابُ وليسَ جُرْمٌ ... وكم ذا الاعتذارُ وليس ذَنْبُ
فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ ... به لحوادث الأيام نَدْبُ
أمثلي تُقْبَلُ الأقوالُ فيهِ ... ومِثْلُكَ يَسْتَمِرُّ عليه كَذْبُ

وكان يحاول أحياناً أن يتلطف مع أميره إذا بلغه عتابه ويطوي حسراته في قلبه الذي تعود مثلها فيقول[(١)] :

---

(١) الديوان : ٢/٢٨ .

تنكّر (سيف الـدين) لَّمـا عتبتُـه ... وعَرَّضَ بي تحـتَ الكـلامِ وقَرَّعَـا

فقولا لهُ من أصْدق الـوُدِّ : إنَّنـي ... جَعَلْتُكَ مّما رابـني الـدَّهْرُ مَفْزعَـا

ولـو أنـي أكننتُـه في جـوانحي ... لأَورَقَ ما بـينَ الـضُّلُوعِ وفَرَّعَـا

وهناك مديح وعتاب لغير (سيف الدولة) وجهه لأهله وغيرهم ومثال ذلك قوله لابني سيف الدولة[٢] :

يـا سـيديَّ أراكُمـا ... لا تـذكُرَان أخاكُمـا

أوَجـدتُما بـدلاً بـه ... يـبني سمـاءَ علاكُمـا

أوَجـدتُما بـدلاً بـه ... يَفْري صُـدُورَ عـداكُما

ماكانَ بالفعلِ الجميـ ... ـيلِ بمثلـه أولاكُمـا

من ذا يُعـابُ بمـا لقيـ ... ـتُ من الورى إلاكُمـا

لاتقعـدا بي بعـدَها ... وسـلا الأمـيرَ أباكُمـا

وخُذا فِداي جُعِلْـتُ مِـنْ ... ريـبِ الزَّمَـانِ فِـدَاكُما

---

(١) الديوان : ٢٤٨/٢ .

(٢) الديوان : ٣٧٠/٣ - ٣٧١ .

سمات مديحه وعتابه :

– من خلال تأمل نصوص المديح عند أبي فراس يبدو لي أن ليس له في هذا الميدان جواد كبقية الأغراض الأخرى التي برَّ فيها غيره .

ولعل السبب في ذلك : أن الباعث على المديح غالباً ما يكون التكسب وطلب الجاه والتقرب من الأمير ، وأبو فراس لا يعوزه شيء من تلك الأمور فهو الأمير المقدر عند ابن عمه ، أضف إلى ذلك أن أبا فراس شاعر مفخار ، ويرى أنه ليس بعيداً عن منزلة سيف الدولة وهو مع ذلك " شاعر رقيق عذب كأنما يغني على قيثارة صافية النغم غير مهتم إلا بشخصيته ونفسه ، والشاعر إذا أخلص لنفسه كان على الأغلب موفقاً ساحراً ، فالطائر الغريد على فننه ، إنما يشبع حاجة في إطراب نفسه ، فتسير أنغامه بين الغصون ترددها أصداء الكون ، فيطرب من فيه ويلتذ سامعوه "[١] لذلك فإن أبيات الفخر تكاد تقتحم عليه مديحه كله حتى لنرى البيت يشطره نصفين بينه وبين ممدوحه ، وأحياناً يقدم نفسه ، استمع إليه يقول[٢] :

وفَضْلي يَعْجَزُ الفُضَلاءُ عنــه لأنَّكَ أصــلُه والمجــدُ تــربُ

" فالشاعر لم يخلص إلى ممدوحه بكليته كما هي عادة الشعراء المداح ، وإنما منح نفسه أكثر الاهتمام بحيث لم يذكر ممدوحه إلا ذكراً ثانوياً ، فطابع الفخر يغلب على المديح بحيث أصبح المديح وسيلة من وسائل فخر الشاعر وإظهاره فضائل نفسه "[٣]

(١) فنون الشعر : ٢١٥ .

(٢) الديوان : ٢٨/٢ أصل الترب : المماثل في السن .

(٣) فنون الشعر : ٢١٦ ، انظر شاعرية أبي فراس : ٢٥ .

كما نلحظ كذلك بُعْدَ أبي فراس في مديحه عن طلب المال لنفسه ، وإن كان يطلب مفاداته ؛ لأنه بعد ذلك فيه مصلحة للدولة والإسلام[(١)] :

وإن تفتـــدُوني تَفْتَـــدُوا لِعُلاكـــم ... فتىً غيرَ مَرْدُودِ اللِّـــسَانِ أو اليَـــدِ
يُطَاعِنُ عـــن أعْرَاضِـــكُمْ بِـــسلاحِهِ ... ويَضْرِبُ عـــنكم بالحُـــسَامِ المُهَنَّـــدِ

ويقول :

فإلا يكنْ ودٌّ قـــديمٌ عَهِدتُـــه ... ولا نسبٌ بين الرجالِ قـــرابُ
فأحوطُ للإسلامِ ألا يُـــضِيعَني ... ولي عنهُ فيهِ حَوْطـــةٌ ومَنَـــابُ

فنراه يلتفت إلى صفات الشجاعة والفروسية وكرم المحتد عند الأمير " وهذا الجانب من جوانب حياة الأمير هو الذي كان يجذب انتباه الشاعر إليه أكثر من بقية جوانبه ، حتى إن ناحية الكرم ، وهي ناحية بارزة فيه تمام البروز ، لم تسترع نظر الشاعر كثيراً ، فلم يرددها إلا قليلاً ... وتعليل ذلك يسير واضح ، فإن أميراً كأبي فراس لا يليق بكرامته أن يقرض من الشعر ما يشتم منه رائحة الاستجداء "[(٢)]

وأما العتاب : فيلاحظ أنه لم يخلُ من المديح كما أنه يشتد ويلين بحسب الموقف والمناسبة .

ولكن ثمة سمة اتسم بها عتابه لغير سيف الدولة نلحظها في هذه الأبيات ، وقصد

---

(١) الديوان : ٢/ ٨٠ .

(٢) شاعرية أبي فراس : ١٢٢ ، وانظر الشعر في رحاب سيف الدولة : ١٥٩ .

بها أقاربه الذين تمنوا عدم خلاصه من أسره[١] :

تمنيتُمُ أن تفقدوني وإنَّما ... تمنيتُمُ أن تفقدُوا العزَّ أصيدا
إلى اللهِ أشكو عُصْبَةً من عشيرتي ... يسيئونَ لي في القولِ غيباً ومشهدا
فلا تعدونِّي نعمةٌ فمتى غدَتْ ... فأهلي بها أولى وإن أصبحوا عدا
وإني بخيرٍ إن لقيت بهم فتى ... كريماً مطاعاً في العشيرة سيِّدا

فـــ " هذه الصورة من العتاب تصور فكرة نستطيع إضافتها إلى مميزات الشعر الوجداني عند هذا الشاعر ، وهي أن أبا فراس رقيق على أصحابه حَدِبٌ على خلانه ، وأقل رقة مع أصحاب الحول والسلطان ، فهو بهذه الصفات مثال الرجل الحر الذي لا تنسيه السلطة والملك – اللذان غالباً ما تنسى الرجال صلابتهم – كرامته وعلو همته ، وهو بهذه الصفات مثال الرجل المهذب الذي لا تغلظه مكانته ، وعلو منزلته مع أصحابه ، وإن كانوا أقل منه مكانة "[٢] فكيف مع عشيرته وأقاربه .

٣- الشكوى والحنين

لعل غَرَضَي الشكوى والحنين من أصدق ما تحدث عنه أبو فراس في رومياته ولا غرو فقد " تضافرت عوامل متعددة على ذلك : سجن وأسر وغربة وبعد عن الأهل والوطن ، وبعد عن المطامح التي كانت تراود أحلامه ، والميادين التي كان يصول فيها ويجول مثل الفروسية والكرم ، وتأخر افتدائه ، وتنكر أقاربه وأصدقائه ، والأهم من

---

(١) الديوان : ٢/٨٥ – ٨٦ .
(٢) شاعرية أبي فراس : ٦٧ .

ذلك كله حالة أمه العجوز التي كانت تعاني من سوء صحتها ، وبخاصة بعد أن وقع وحيدها أسيراً[(١)] .

لقد صور أبو فراس أسره في شكواه وشكواه في أسره وتصوّر حالة أمه وهي تكاد تصاب بالذهول حين يُذكر لها، وشكا من كل الناس ثم بعث شكواه إلى الله ، وناجى ما حوله من حمامة تنوح ، وليل يسري ، ونجوم تجري ، وعيد يعود بالألم والحسرة على الأسير المعنى .

وحن إلى أحبابه في الشام وإلى بلده (منبج) وصبيته الصغار ، وإلى غلاميه (منصور) و (ضاف) بل إلى ساحة الحرب ، غير أنه لم يذكر زوجته " وأزعم أن هذه المسألة ترتبط بنفسية فرسان العرب ، لا بنفسية أبي فراس فقط ، فهم يخاطبون الزوجات عند النصر لا وقت الهزيمة ، وهم يباهون بشجاعتهم أمامهن ، ولا يبكون لهن عند الهزيمة ، فالفارس العربي يظهر أمام أنثاه ، ويظهرها معه عند النصر ، ويتوارى منها خجلاً إذا هزم ، ولذا توارى أبوفراس ولم يذكرها ، وهو المهزوم الأسير "[(٢)] ولندع شعر أبي فراس يبوح بما في نفسه ، ونستمع له بقلوبنا وأحاسيسنا قبل عقولنا :

ولنبدأ بحال شاعرنا في أسره كيف يمضي وقته بين نوازع نفسية تتناوش فؤاده وتقلق منامه[(٣)] :

مُـصَابي جليـلٌ والعَـزَاءُ جميـلُ ... وظنِّـي بـأنَّ اللهَ سـوفَ يُـدِيْلُ

---

(١) حياته وشعره : ٢٩٥ .

(٢) شعر الصراع مع الروم / د.نصرت عبدالرحمن ، مكتبة الأقصى- عمان ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م : ٣٨٤.

(٣) الديوان : ٢/٣١٤ .

جِراحٌ وأسرٌ واشتياقٌ وغُربةٌ أُحَمَّلُ إني بعدَها لحمولُ
وإنّي في هذا الصباحِ لصالحٌ ولكنَّ خطبي في الظلامِ جليلُ
وما نال منّي الأسرُ ما تريانه ولكنَّني دامي الجراحِ عَليلُ
جراحٌ تحاماها الأساةُ مخوفةٌ وسقمان : بادٍ منهما ودخيلُ
وأسرٌ أقاسيهِ وليلٌ نجومُه أرى كُلَّ شيءٍ غيرَهنَّ يزولُ
تطولُ بي الساعاتُ وهي قصيرةٌ وفي كلِّ دهرٍ لا يسرُّكَ طولُ

ويصرخ بشكوى أمه المريرة ويرسلها إليها كي يخفف عنها ، وإنها لزفراتٌ حارة من قلب يتفطر ألماً[1] :

ياحَسْرةً ماأكادُ أحْمِلُها آخرها مُزْعِجٌ وأوَّلُها
عليلةٌ بالشآمِ مُفْرَدَةٌ باتَ بأيدي العدَا مُعَلِّلُها
تُمْسِكُ أحشاءَها على حُرَقٍ تطفئُها والهُمُومُ تُشْعِلُها
يا أمَّتا هذه منازِلُنا نترُكُها تارةً وننزلُها
يا أمَّتا هذه مواردُنا نُعلُّها تارةً ونَنْهَلُها
أسلَمَنَا قومُنا إلى نُوَبٍ أيسرُها في القلوبِ أفتكها

وحين يلتفت المرء – في ضيقٍ مسه – فلا يجد من يعينه من أصحابه الكثر الذين كانوا يحيطون به في حال اليسر ، فإنه يشتد ألمه ، ويزداد ضيقه وعسره ، وقد شكا أبو فراس كثيراً من أصحابه ، حتى شكا من الناس جميعهم ، وترددت هذه المعاني في كثير من رومياته معبرة عن مبلغ حسرته بفقد نصرهم له ، ووقوفهم بجانبه وهو الشاعر

(١) الديوان : ٢/٣٣٠ – ٣٣١ .

المشهور بإخوانياته ، التي إن دلت على شيء فإنما تدل على تقديره للصداقة ، وحبه للأصحاب ، ومن هنا كانت الآلام تخترم قلبه وتقذفه بسهامها الدامية(١) :

تناساني الأصحابُ إلا عُصَيْبَةً ... ستلحقُ بالأخرى غداً وتحولُ
ومَنْ ذا الذي يبقى على العهدِ؟ إنَّهُمْ ... وإنْ كَثُرَتْ دعواهُمُ لقليلُ
أقلِّبُ طرفي لا أرى غَيرَ صاحبٍ ... يميلُ مع النَّعْمَاءِ حيثُ تَميْلُ
فَكُلُ خليلٍ هكذا غيرُ مُنْصِفٍ ... وكلُّ زمانٍ بالكرامِ بخيلُ
نعمْ دَعَت الدُّنيا إلى الغَدْرِ دعوةً ... أجابَ إليها عالِمٌ وجهولُ
فيا حَسْرتي من لي بخلٍّ مُوافِقٍ ... أقولُ بشَجْوِي مرةً ويقولُ

وشكا من غالب الناس من فرط يأسه بهم(٢) :

بمن يثقُ الإنسانُ فيما ينوبُهُ ... ومن أينَ للحُرِّ الكريمِ صِحَابُ
وقد صَارَ هذا النَّاسُ إلا أقلَّهم ... ذئاباً على أجسادِهِنَّ ثيابُ

ويقرن شكواه بأصحابه بشكواه من الزمان فيقول(٣) :

يمضي الزمانُ وما ظَفَرْتُ بصاحبٍ ... إلا ظفرتُ بصاحبٍ خَوَّانِ
يا دَهْرُ خُنْتَ مع الأصادِقِ خُلَّتي ... وغدرتَ بي في جُمْلَةِ الإخوانِ

(١) الديوان : ٢/٣١٥ .
(٢) الديوان : ٢/٢٢ .
(٣) الديوان : ٣/٤٠٩ ، ٤١٠ .

ولكن بعد هذا الصدود من الأهل والأصحاب والناس جميعهم إلام المشتكى ؟

لقد توجه الشاعر إلى كل شيء حوله مما يثير شجونه ، ويبعث آلامه ، لقد توجه إلى الليل وهو رفيق المعذبين ، وإلى النجوم وهي في بروجها تبكي لحاله ، وإلى الحمامة ترسل أنغامها الحزينة ، وإلى العيد الذي نكأ جراحه في صدره العليل ، فوجد في هذه الشكوى فرصة ليسكب آلامه وأحزانه على مظاهر الطبيعة من حوله فيخفف عما يعتمل في نفسه .

وهذه المقطعات تعد من أجمل ما قال حتى إنها لتلامس الوجدان وتبعث العواطف الكامنة ، وتُشرك مظاهر الكون في أحاسيسها :

فيقول مخاطباً الليل وكأنه صديق حميم يبثه نجواه ويشكو إليه حزنه[1] :

ياليـلُ مـا أَغْفَـلَ عمَّـا بي ... حبـائبي فيـكَ وأحْبَـابي
ياليلُ نامَ الناسُ عـن مُوجـعٍ ... نـاءٍ علـى مـضجعهِ نـابي

وتحلق حيرته مع النجوم فيراها تائهة حائرة وهو بذلك يسكب مايجول في خاطره على من حوله يتعاطف معها وتتعاطف معه في مشاركة وجدانية رائعة . يقول[2] :

ما لنجومِ السَّمَاءِ حـائرةً ... أحالُها في بُرُوجِها حـالي
أبيتُ حتى الصباحِ أرقبُها ... مهتديات في حال ضُـلالِ
أما تراها علـيَّ عاطِفـةً ... تكادُ من رِقَّـةٍ تُبكّـى لي

(١) الديوان : ٥٢/٢ .
(٢) الديوان : ٣١٢/٢ .

وهذه المشاركة في المشاعر لم تتوقف عند مظاهر الطبيعة الصامتة كالليل والنجوم وإنما انسحبت إلى الحيوانات والطيور ، وإذا كان الحمام رسول المحبين منذ القديم وصِنْوَهُم المَشُوق ، فماذا يمثل الحمام في محنة الشاعر؟ هاهو ذا يلمح حمامة أخذت مكانها بالقرب من مكان أسره على شجرة عالية واسترسلت في ألحانها الباكية الحزينة ، وكأنها تبكي هديلها الذي ضاع منها . فلا تزال تدعوه وتندبه فكانت مصدر وحي لأبي فراس وهو في حالة نفسية حزينة ، فناجاها بقطعة شعرية غنائية تعزف ألحانها على أوتار القلوب(١) :

أقولُ وقدْ ناحتْ بِقُربي حَمَامَةٌ ... أيا جَارتَا هل باتَ حالُك حالي
معاذَ الهَوى ما ذُقْتِ طارقةَ النَّوى ... ولا خَطَرتْ منكِ الهمومُ بِبَالِ
أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ ... على غُصُنٍ نائي المسَافَةِ عالِ
أيا جارتا ما أنصفَ الدَّهْرُ بيننا ... تعالي أقاسِمْكِ الهمومَ تعالي
تعالي تَري روحاً لديَّ ضعيفةً ... تردَّدُ في جِسْمٍ يعذَّبُ بالِ
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ... ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالِ
لقد كنتُ أولى منكِ بالدَّمعِ مقلةً ... ولكنَّ دَمْعي في الحَوادِثِ غالِ

و " أبو فراس الذي أقبل عليه العيد ، وهو أسير في بلاد الروم ، وقد اكتفى في استقباله بتسجيل مايملأ قلبه من الكرب ونفسه من العناء ، وما انسدل على ناظره من سواد حجب عن عينيه رؤية النور والجمال ، ثم مضى خياله يحلِّق فوق داره هناك بـ (منبج) في الشام فأحس بالوحشة تكتنف جنباتها ، ورأى أهله يستقبلون العيد ،

---

(١) الديوان : ٣٢٥/٣ .

لا كما اعتادوا استقباله في طرب وبهجة ، ولم يروا في طلعته حسناً ولا جمالاً ويختم مقطوعته متعجباً من أحداث الدهر وأعاجيبه إذ يقول[١] :

يا عيدُ ما عــدت بمحبــوب ... على معنى القلبِ مكــروب
يا عيدُ قد عدتَ على نــاظرٍ ... عن كل حسنٍ فيك محجــوب
يا وحشةَ الدارِ الــتي ربُّهــا ... أصبح في أثــوابِ مربــوب
قد طلع العيــد علــى أهلــه ... بوجه لا حُــسْنٍ ولا طيــب
مــالي وللــدهر وأحداثــه ... لقد رمــاني بالأعاجيــب[٢]

خالط شكواه حنينه ؛ ذلك لأن مبعثهما الألم والوحدة " والوحدة تفتح صندوق الذكريات، ومع الذكريات تشوق وحنين إلى مرابع الصبا ، وإلى الأهل والأصحاب ، وقد تذكر الشاعر كل شيء ، حتى غلاميه منصور وضاف وحن إلى كل شيء "[٣]. وجميل أن يستشعر المرء شعور أحبابه بآلامه ولا يتجاهل معاناقم من أجله وهذا من خصال أبي فراس[٤] :

يَعُزُّ علــى الأحبَّــة بالــشآمِ ... حبيبٌ بــاتَ مَمْنُــوعَ المنــامِ
تبيــتُ همومُــه واللّيــلُ داجٍ ... تقلّبُه علــى وَخْــزِ الــسِّهامِ

ويبعثُ لهم مع صاحبيه في ختام هذه الرسالة الشعرية الطويلة سلاماً حاراً[٥] :

---

(١) شاعر بني حمدان : ١٥٦ .
(٢) الديوان : ٢/٢٩ .
(٣) شعر الصراع مع الروم : ٢٨٣ .
(٤) الديوان : ٣/٣٧١ .
(٥) الديوان : ٣/٣٧٥ .

ألاَ ياصــاحبيَّ تــذكّراني إذا ما شِمْتُما البَرْقَ الـشآمي
إذا مالاحَ لي لَمَعانُ بَـرْقٍ بعثتُ إلى الأحِبَّـةِ بالـسَّلامِ

وفي لحظة من لحظات الذكريات الجميلة المخضبة بآلام الفراق يرسل أبو فراس هذه التوقيعات إلى بلده وأمه وصبيته ، ويصارع الدموع في عينيه القريحتين(١) :

لأيكُــمُ أذكُــرُ وفي أيكُــمْ أفكُــرُ
وكَــمْ لي علــى بلــدتي بكــاءٌ ومُــستَعْبَرُ
ففــي حلــبٍ عُــدَّتي وعــزِّي والمَفْخَــرُ
وفي منــبجٍ مَــنْ رضا هُ أنفــسُ مــا أذْخُــرُ
ومــن حُبُّــه زُلفــةٌ بهــا يكــرَمُ المحــشرُ
وأصْــبِيَةٌ كــالفراخِ أكــبرُهم أصْــغرُ
وقــومٌ ألفنــاهُمُ وغُصْنُ الـصِّبا أخـضرُ
يخيــلُ لي أمْــرُهم كــأنَّهُمُ حُــضَّرُ
فحــزنيَ لا ينقــضي ودمعــي مــا يفتُــرُ
ومــا هــذه أدمعــي ولاذا الّــذي أُضْــمِرُ
ولكــن أداري الــدُّموعَ وأســتُرُ مــا أسْــتُرُ
مخافــةَ قــولِ الوُشــا ةِ (مِثْلُــكَ لا يَــصْبِرُ)

(١) الديوان : ٢٠٦/٢ – ٢٠٧ .

ولأبي فراس صلة وثيقة بغلاميه (ضاف) و (منصور) وإن كان الأخير مقدم على الأول لكثرة ما يذكره في شعره ، وهذه رسالة شعرية يحملها حنينه وشكواه أقتطف منها ما يتصل بالحنين[(١)] :

لا رعــى اللهُ يــاخَلِيليَّ دهــراً ... فرقتْنــا صــروفُه تفريقــا
كنتُ مولاكُمــا ؛ ومــا كنــتُ إلا ... والــداً مُحْـسناً وعمــاً شــفيقا
فــاذكراني وكيــفَ لا تــذكُراني ... كُلّما استخون الـصَّديقُ الـصَّديقا
بــتُ أبكيكُمــا وإنَّ عجيبــاً ... أنْ يَبْيتَ الأسـيرُ يبكـي الطليقـا

وشوقه يتعدّى ذلك كله إلى ساح الوغى التي تربى فيها ، وكانت له طعامه وشرابه كما يقول[(٢)] ، وهذه شكواه تمتزج بحنينه إلى السُّيوف والحراب[(٣)] :

تَمُرُّ اللّيالي لـيسَ للنَفْـعِ موضـعٌ ... لـديَّ ولا للمعـتَفِينَ جنَـابُ
ولا شُدَّ لي سَرْجٌ على ظَهْرِ سـابحٍ ... ولا ضُـرِبَتْ لي بـالعراءِ قِبَـابُ
ولا بَرَقَـتْ لي في اللِّقـاءِ قواطِـعٌ ... ولا لَمَعَتْ لي في الحروبِ حِـرابُ

---

(١) الديوان : ٢٦٨/٢ – ٢٦٩ ، ولابد أن أنبه على أن سبَّ الدهر لا يجوز في الشريعة الإسلامية فأحداثه كلها صنع الله ولا تجري إلا بأمره ، ولكن لعل الشعراء كثيراً ما يتجوزون في ذلك ويقصدون الحدث.

(٢) الديوان : ٢٩/٢ .

(٣) الديوان : ٢٣/٢ .

سمات الشكوى والحنين :

- نلمس في شكواه وحنينه الصدق والإخلاص والوفاء ، والانفعال في المواقف المختلفة بين آن وآخر ولا غرو في ذلك ؛ فقد كان أبو فراس يعاني من سوء حالته التي تتسم بالحزن ، فيطبع شكواه الخاصة بطابع خاص يعبر فيه عما يخالج نفسه من مشاعر وأحاسيس ، وقد تشمل الناس المصابين عامة مما يسبب تجاوب الناس مع الشاعر في شكواه وانفعالهم وتأثرهم بمواقفه[(١)] وهذا من أسباب خلود (الروميات) فكم فيها من سلوة للمتألمين ، وراحة للمغتربين ، إذا قرأها أحدهم وجد فيها أنسه ، وكأنه ناظمها تخرج من فؤاده ، وتخرج معها كلُّ آهة مكظومة ..

- " ومذهب أبي فراس في شكوى حاله وخلانه مزيج من الألوان المتعددة وقلما يقصر قوله على الشكوى وحدها ، بل تغلب عليه طبيعته الأصلية الكريمة فيمزج الشكوى بالفخر[(٢)] - " ومزج أبو فراس شكواه ببعض الحكم ، فقد نظر في الدنيا وتصاريفها وفي الناس وغدرهم ، وفي النفس البشرية وتلونها مما أوحى له بكثير من الحكم التي جاءت ممزوجة بشعره الشاكي ، ومزج أبو فراس بين الشكوى والغزل كذلك[(٣)] - .

" وأما شكوى الحال وشكوى الناس وأخلاقهم وأفعالهم فلعل شاعراً لم يتسام إلى مكانة أبي فراس في هذا الفن من بين الشعراء الحمدانيين ، ولا شك أن الظروف

---

(١) انظر حياته وشعره : ٣٠٣ .

(٢) فنون الشعر : ٣٧٣ .

(٣) حياته وشعره : ٣٠٣ .

والملابسات التي حاقت به في أسره من آلام وسجن لم يألفه وهو الأمير الشجاع وتنكر قومه له ، ومرض أمه وسعيها من أجل خلاصه ، ثم موتها حسرة عليه ، كل ذلك جعل أبا فراس سيد شعراء الشكوى ، وشكواه رقيقة كنفسه ، عذبة كروحه ، عميقة كإحساسه ، شفافة كوجدانه ، يطرق فيها المعاني البعيدة والقريبة ، ويمتلك ناصية الشاردة والواردة ، كل ذلك لا يكل ولا يمل ، لم يهدأ له بال ولم يكفَّ عن شكواه حتى كُتب له الخلاص ، وعاد إلى موطنه حراً طليقاً يعاود فروسيته وينشد قصائده وفرائده في جوٍّ من الحرية الخالصة المطلقة "[١]

ـ ولست مع د.عبدالجليل المهدي فيما ذهب إليه من أن أبا فراس في شكواه يبدو " قوي الإيمان بالله متعلقاً به لا يرجو الخلاص إلا منه ، ولهذا أكثر من ترديده الحديث عن قضاء الله وقدره ، وكما يتضح من أشعاره التي شكا فيها إلى أمه بخاصة ، وغيرها بعامة "[٢] ، ذلك لأن الشاعر يرفع شكواه إلى الله كما يرفعها إلى غيره ولو قورنت أبياته التي شكا فيها حاله إلى الله وغيرها لوجدت قليلة جداً ، بل إن الدكتور لم يورد مثالاً على ما قال وإن كان موجوداً ولكنه - كما قلت - قليل جداً .

وكيف يقول إنه " لا يرجو الخلاص إلا منه " وقد عقد باباً للعتاب وموضوعه الأساس هو طلب الفداء من سيف الدولة وقد نضح شعره فيه بالتزلف إليه حتى يخلصه من أسره وبالغ في استعطافه حتى بدا كأنه يبتهل إلى الله .

وأما ترديده ذكر القضاء والقدر فإن القارئ إن أحسن الظن بالشاعر يقول :

---

(١) فنون الشعر : ٣٧٣ .

(٢) حياته وشعره : ٣٠٤ .

إنه يقرر قاعدة راسخة في قلبه استقاها من تربيته الدينية ، وهذا موقف المسلم عموماً من كل مصيبة تصيبه ، وإن أساء الظن يقول :

إنه فرار طبعي من الأحداث التي يقف الإنسان أمامها مكتوف الأيدي لا يستطيع حيالها حولاً ولا طولاً ، ويمكن أن يكون تعليلاً لما وقع فيه من الأسر حتى يرفع عنه تهمة الهزيمة والانكسار والضعف .

ولابد أن نفرق بين إقرار الشاعر بقاعدة القضاء والقدر ، وبين التجائه في مصابه إلى الله ، فربما يرضى المرء – مرغماً – بالقدر ، ولكنه يستجدي غير الله بل إني أقول : إن الشاعر كثيراً ما ينسى ربَّه في مواقف كنت أود أن أسمع فيها ضراعته .

وسمة أخيرة أسجلها قبل أن أفارق هذا الغرض البديع عند أبي فراس ، وهي أن قصائده في الشكوى ذات نفس طويل في معظمها ولعل السبب يرجع إلى أن الشاعر يجد فيها المتنفس الوحيد ليصوغ مشاعره ويخفف معاناته ، بل لعله يراها الوسيلة الممكنة لديه كي يصل إلى العالم الخارجي .. ولذلك يطيل ..

غير أنه من الملحوظ أن أبا فراس يقصر شكواه أحياناً على بيتين أو ثلاثة كقوله(١) :

وما هو إلا أنْ جَرَتْ بفراقِنا ... يدُ الدَّهر حتَّى قيلَ مَنْ هُو حَارِثُ
يذكِّرُنا بعد الفراقِ عُهُودَه ... وتلك عهودٌ قّدْ بلينَ رَثَائِثُ

وغيرها مما أوردت له أمثلة قريباً ..

---

(١) الديوان : ٢/٥٦ .

ولعل هذا يرشد إلى القول بأن أبا فراس كان ينشد بحسب ما في نفسه من طاقة شعورية ، فمتى نفدت توقف عن الإنشاد مما يدل على صدقه الشعوري وأنه لا يصنع شعره ولا يتكلفه .

٤- الإخوانيات

" وهذا باب من أبواب الشعر يقصد به ما كان يدور بين الأصدقاء من الشعراء ، تدفعهم إليه الأخوة الصادقة ... وقد كان انتشار الشعر ودورانه على الألسن ، واستخدامه استخدام النثر في المراسلات الودية بين الأصدقاء أقوى العوامل التي ساعدت على انتشار هذا الشعر الإخواني ، واستعماله في أغراض مختلفة ، كالمدح والعتاب ، والتهنئة والتعزية ، والاعتذار والاستعطاف وغير ذلك مما يتبادله الأصدقاء في المناسبات[(١)] " .

ومن أرق الإخوانيات لفظاً وأحرها عاطفة إخوانيات الشاعر الأمير أبي فراس الحمداني خاصة تلك التي أنّ بها في الأسر وعبر فيها عن آلامه وأحزانه وصور عنت جسمه ومرارة سجنه "[(٢)] مع أنها محدودة العدد بالنسبة لما قاله قبل الأسر ، ذلك لأنه " لم يثبت صديق واحد يرعى حقوق الصداقة ، وانعكس ذلك على أشعار الشاعر الأسير، فأطنب في الحديث عن الصداقة ، وطبائع الأصدقاء وأخلاقهم وسلوكهم ، وقلت إخوانياته تبعاً لذلك ، واقتصرت على أخويه أبي الهيجاء وأبي الفضل ، وغلمانه ، وابني أخته أبي المكارم وأبي المعالي ابني سيف الدولة وبعض الأصدقاء الخلص مثل : أبي الحسن الأسمر .

---

(١) الشعر في ظل سيف الدولة – د.درويش الجندي ١٩٥٩م مكتبة الأنجلو المصرية : ٢٥٠ ، ٢٥١ .
(٢) الشعر في رحاب سيف الدولة : ٢٨٤ .

كتب إلى أخيه أبي الهيجاء ، حرب بن سعيد يعذله على عظيم ما لحقه عند أسره من الجزع ويصور فيها شوقه إليه ويستشعر حاله وهو بعيد عنه كأنه يراه[(١)] :

أيَعْلَمُ ما نلقى ؟ نعمْ يَعلمُونَه ... على النأي أحبابٌ لنا وحَبَائِبُ
أأبقى أخي دَمْعاً ؟ أذاقَ أخي كرى ... آآبَ أخي بعدي من الصَّبْرِ آئبُ
أخي لا يذقني اللهُ فقدانَ مثْلِه ... وأينَ له مثْلٌ ؟ وأينَ المُقَارِبُ
تجاوزَت القُرْبَى المَوَدَّةَ بيننَا ... فأصْبحَ أدنى ما يُعَدُّ المُناسِبُ
ألا ليتَني حُمِّلْتُ هَمِّي وهَمَّه ... وأنَّ أخي ناء عن الهمِّ عَازِبُ
ولستُ ملوماً إن بكيتُكَ من دَمي ... إذا أقْعَدَتْ عنِّي الدُّمُوعُ السَّواكِبُ
ألا ليتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... تَنَاقَلُ بي فيها إليكَ الرَّكَائِبُ

وأرسل إلى أخيه أبي الفضل يستزيره وهما أسيران – وإنما لم يُترك أبو فراس مع الأسرى في دار البلاء إجلالاً له وإكراماً لعلوّ شأنه وعظمته – وفيها حنين صادق ، وعتاب رقيق ، تكاد عاطفته المتوقدة تتوثب من بين حروف أبياته العذبة[(٢)] :

أتتركُ إتْيانَ الزِّيارةِ عَامِداً ... وأنتَ عليها – لو تَشَاءُ – قديرُ
وعيشكَ[(٣)] لولا ما علمت لما ونَتْ ... إلى الدَّارِ منِّي رَوْحةٌ وبُكُورُ
فكم كانَ رأيي في لقائكَ نافذاً ... ورأيُكَ فيه وَنْيةٌ وفُتُورُ
تقولُ :(غداً آتي) ولو كنت راغباً ... لطال عليكَ اللَّيلُ وهو قصيرُ

---

(١) الديوان : ٢/٣٣ – ٣٤ .
(٢) الديوان : ٢/٢١٤ – ٢١٥ .
(٣) حلفٌ بغير الله وهذا ممنوع شرعاً .

يضيقُ عليَّ الحَبْسُ حتَّى تزورَه ... فما هو إلاَّ رَوضةٌ وغديرُ
صبرتُ على هذي فما أنا بعدَها ... على غيرِها مِمَّا صَبَرْتُ قديرُ

وبعث إلى ابني سيف الدولة رسالة شعرية[1] أيضاً عرضت لها فيما سبق في العتاب[2] وكتب إلى زهير المهلهل بن نصر بن حمدان جواباً عن قصيدة كتبها إليه ابتداءً؛ أوَّلُها : (بانَ صَبْري بِبَيْنِ ظَبْيٍ رَبِيْبِ) وقد بدأ رسالته هذه بغزل رقيق لعله استوحاه من رسالة صديقه ثم خلص إلى جوابه على رسالة ابن عمه فقال[3] :

هَلْ من الظَّاعِنينَ مُهْدٍ سَلامي ... للفتى الماجِدِ الحَصِيْفِ الأديبِ
ابن عميَ الدَّاني على شحطِ دارٍ ... والبعيدُ القريبُ غيرُ قريبِ
خالصُ الودِّ صادقُ الوَعْدِ أُنسي ... في حُضُوري محافظٌ في مَغيبي
كلُّ يومٍ يُهْدي إليَّ رياضاً ... جَادَها فكرُهُ بغيثٍ سَكُوبِ
واردات بكلِّ أُنْسٍ وبرٍّ ... وافِدَاتٍ بكلِّ حُسْنٍ وطيبِ
(يابنَ نصرٍ) وُقيتَ بؤسَ اللَّيالي ... وصروفَ الرَّدى وكَرْبَ الخُطُوبِ
بانَ صبري لما تأمّلَ طرفي ... (بانَ صبري ببين ظبيٍ ربيبِ)

وكتب أبو الحسن الأسمر إلى أبي فراس يوصيه بالصبر والتجلد فرد عليه أبو فراس

---

(١) الديوان : ٣/ ٣٧٠ – ٣٧١ .
(٢) انظر : ٧٧ .
(٣) الديوان : ١ / ٤٦ .

جواباً قال فيه[١] :

ندبتَ لحُسْنِ الصَّبرِ قَلْــبَ نجيــبِ ... وناديتَ بالتَّــسْلِيْمِ خَيْــرَ مجيْــبِ
ولم يبقَ منّي غَيْــرُ قَلْــبِ مُــشَيّعٍ ... وعودٍ على نابِ الزَّمــانِ صــليبِ
تحمَّلتُ خوفَ العارِ أعظــمَ خطَّــةٍ ... وأمَّلْتُ نَصْراً كــانَ غَيْــرَ قريــبِ

وكان يرسل إلى غلمانه بعض رسائله ، وهي غالباً ما تكون مقطعات يحن إليهم ويتجلد أمامهم ويذكرهم بفضله عليهم ومنها رسالته إلى غلاميه (منصور) و (فاتك)[٢] :

قناتي على ما تَعْلَمَــان شــديدَةٌ ... وعُودي على ما تعلمان صليبُ
صَبورٌ على طيِّ الزمانِ ونــشرِهِ ... وإن ظَهَرَتْ للدَّهرِ فيَّ نــدوبُ
وإن فتىً لم يكسرِ الأسْــرُ قلبَــهُ ... وخوضُ المنايا جِــدَّهُ لنَجيْــبُ

سمات إخوانياته :

امتزجت إخوانيات أبي فراس بأغراض أخرى كالفخر والشكوى والمديح والعتاب والحكمة.

– " أما الصفات العامة التي تسيطر على الإخوانيات ؛ فمنها الشوق الملح ، والدعاء الصادق ، وإسداء النصائح ، وتجميل الصبر والجلد ، والحفاظ على الصديق

---

(١) الديوان : ٢ / ٣٤ – ٣٥ .
(٢) الديوان : ٤٨/٢ .

والصداقة وما أشبهه ، وبالاختصار ففي الإخوانيات كثير من العاطفة والشعور ، وقليل من سمو الخيال والأجواء الفسيحة الرحبة(١) ـ واستهل أبو فراس قليلاً من هذه الإخوانيات بمقدمات غزلية تقليدية تناسب الغرض كتلك التي أشرت إليها قريباً ومطلعها الغزلي(٢) :

وقَفَتْني على الأسَى والنحيبِ مقلتا ذلك الغزالِ الربيبِ

ـ انعكست حالة الشاعر الأسير على هذه الإخوانيات ، فقلبه الجريح ، ونفسه الحزينة أضفيا طابعاً يتجلى فيه الألم والحزن .

ـ واتسمت كذلك " بالصدق التام والإخلاص في القول والانفعال ... وقد أجاد أبو فراس وأبدع في هذا الفن إذ عبَّر به عن واقع مؤلم ، وصور فيه مرارة الأسر ، ورسفه في أغلال القيد"(٣)

ـ وأخيراً نقول : " الحق أن الرسائل التي تبودلت بين أبي فراس وصحبه ... تُعد من الأدب الرفيع : صدق عاطفةٍ وقوةَ أداءٍ "(٤)

---

(١) أبو فراس الحمداني لـ جورج غريب : ٤٧ .
(٢) الديوان : ٢ / ٤٥ .
(٣) الشعر في رحاب سيف الدولة : ٢٨٩ .
(٤) شاعر بني حمدان : ١٢٤ .

٥ – الغزل

جاء الغزل في (الروميات) مقدمات لبعض القصائد ، ومقطعات قصيرة ، كما اتخذ الرمز وسيلة من وسائل التعبير عما تحول الظروف بينه وبين ظهوره واضحاً جلياً أحياناً .

وأبو فراس حين يجعل الغزل مقدمة لأغراض أخرى يجتهد غالباً في أن يجعل روح الغزل مناسبة لروح الموضوع الذي يقصد إليه ، وسأحاول أن أبرهن على هذا من خلال النصوص الغزلية التي بدأ بها الشاعر بعض رومياته .

لقد وقف أبو فراس على الأطلال كما فعل أسلافهُ فقال في إحدى رسائله إلى سيف الدولة (١) :

أتَعِزُّ أنـتَ علـى رُسُـومِ مَغَـانِ ... فـأُقِيْمَ للعَبَـرَاتِ سُـوقَ هَـوَانِ
فَـرْضٌ عَلَـيَّ لِكُـلِّ دَارٍ وقفَـةٌ ... تقضي حُقُوقَ الـدَّارِ والأجفـانِ
لولا تذكرُ من هَويتُ بـ (حاجرٍ) ... لم أبـكِ فيـه مواقِـدَ الـنِّيرانِ

ونلمح صلة غزله بموضوع القصيدة الذي أنشئت من أجله وهو الشكوى والحنين إلى الوطن ، واستعطاف الأمير فيناجي صاحبيه ويقول (٢) :

يا واقفانِ معي على الـدَّارِ اطلُبَـا ... غَيْـري لهـا إن كُنْتُمـا تَقِفَـانِ
مَنَعَ الوقوف على المَنَـازلِ طـارِقٌ ... أسَـرَ الـدُّمُوعَ بمُقْلَـتي ونَهَـاني
فَلَهُ إذا وَنَـت المَـدَامِعُ أوهَمَـتْ ... عِصْيَانُ دمعـي فيـه أو عـصياني

---

(١) الديوان : ٣ / ٤٠٧ .

(٢) الديوان : ٣ / ٤٠٧ – ٤٠٨ .

إنَّـــا لَيَجْمَعُنـــا البُكَـــاءُ وكُلُّنــا يبكي على شَجَنٍ مــن الأشْــجَانِ
ولقد جَعَلْتُ الحبَّ سِــتْرَ مــدامعي ولغـــيره عينــــايَ تنـــهملانِ
أبكـــي الأحِبَـــةَ بالـــشآمِ وبيننَــا قُلَلُ (الدُّرُوبِ) وشاطئا (جَيْحَــانِ)

ثم نلمس عنده شعوراً عاطفياً إنسانياً عاماً يسمو به حينما يتذكر غيره من العاشقين المتيمين فيبكي لهم(١) :

وتُحبُّ نفـــسي العاشـــقينَ لأنَّهُـــمْ مِثْلي على كَنَــفٍ مـــن الأحْـــزَانِ
فضُلَتْ لَدَيَّ مَدَامِعٌ فبكيتُ للـــــ ـــباكي بهـــا ، وولهـــتُ للولهـــانِ

وبدأ أبو فراس عتابه لسيف الدولة بمقدمة غزلية تكاد تشفُّ عن موضوع القصيدة من أولها ، ومنها قوله(٢) :

أمـــا لجميـــلٍ عِنْـــدكُنَّ ثـــوابُ ولا لُمـــسيءٍ عنـــدكُنَّ مَتَـــابُ
... إذا الخلُّ لم يَهْجُـــرْكَ إلا ملالـــةً فليسَ لـــهُ إلا الفـــراقَ عتَـــابُ
إذا لم أجدْ من بلـــدةٍ مـــا أريـــدُهُ فعندي لأُخـــرى عَزْمَـــةٌ ورِكَـــابُ
وليسَ فِرَاقٌ ما استطعتُ فإن يكـــنْ فراقٌ على حـــالٍ فلـــيسَ إيـــابُ

ولابد أن نشير إلى هذا الموقف العجيب الذي يقفه شاعر مثل أبي فراس من المرأة وهو يشي بقوةٍ نفسية تتحكم في العواطف الإنسانية غير المنضبطة يقول(٣) :

---

(١) الديوان : ٣ / ٤٠٨ .
(٢) الديوان : ٢ / ٢٢ .
(٣) الديوان : ٢ / ٢٢ .

لقد ضَلَّ من تحـوي هـواهُ خَرِيْـدَةٌ ... وقد ذَلَّ من تقضي عليه كَعَـابُ
ولكـنني – والحمـدُ لله – حَـازِمٌ ... أعِـزُّ إذا ذَلَّـتْ لُهـنَّ رِقَـابُ
ولا تملـكُ الحَـسْنَاءُ قلـبيَ كُلَّـه ... وإن شَـمِلَتْها رِقَّـةٌ وشَـبَابُ
وأجرِي فلا أُعطي الهَوَى فَضْلَ مِقْوَدي ... وأهفو ولا يخفى علـيَّ صَـوابُ

وهذا الإباء والتمنع أمام المرأة يناسب جوَّ القصيدة العام ؛ حيث قالها أبو فراس في حالة شعورية معينة ، كانت عواطفه تتأجج بالألم والحرقة ، وفيها أنفة وكبرياء ولذلك فإن القصيدة تمتلئ بالفخر الذاتي أمام عناد سيف الدولة ولذلك انعكس هذا الإباء على المقدمة الغزلية للقصيدة .

وحين يشكو في إحدى إخوانياته تبدو مقدمته الغزلية موجزاً لكل مشاعره التي حملتها القصيدة ، فامتزجت فيها الشكوى بالحنين إلى الأحباب ثم ختمها بحكمة في صميم الغرض يقول [(١)] :

أبيـتُ كـأنِّي للـصَّبَابَة صَـاحِبُ ... وللنَّومِ مُذْ بَانَ الخَلـيطُ مُجَانِـبُ
وما أدعـي أنَّ الخُطُـوبَ تخـيْفُني ... لقد خبَّرَتْنـي بـالفِرَاقِ النَّواعِـبُ
ولكـنني مازلـت أرجـو وأتقـي ... وجَدَّ وشيكُ البينِ والقلبُ لاعِـبُ
ومـا هـذه في الحُـبِّ أوّلُ مَـرَّةٍ ... أسَاءَتْ إلى قلبي الظُّنونُ الكـواذِبُ
ومن مذهبي حُبُّ الـدِّيارِ لأهلـها ... وللنَّاسِ فيمـا يَعْـشَقُونَ مَـذَاهِبُ

(١) الديوان : ٢ / ٣٠ .

ومن أرق مقدماته الغزلية ما استهل به إحدى رسائله لأحد أصحابه ومنها قوله[(١)] :

وقَفَتْنِي على الأسى والنَّحِيبِ ... مُقْلَتَا ذلكَ الغزالِ الربيبِ
كُلَّما عادَنِي السُّلُوُ رَمَانِي ... غَنجُ ألحاظِه بسهمٍ مُصِيْبِ
... هل لصبٍّ متيَّم من مُعينٍ ؟ ... ولداء مُخَامِرٍ من طبيبِ ؟
أيُّها المُذْنِبُ المُعَاتِبُ حتى ... خِلتُ أنَّ الذُّنوبَ كانت ذنوبي
كُنْ كما شِئتَ مِنْ وصَالٍ وهَجْرٍ ... غير قلبي عليكَ غيرُ كئيبِ

وحين تأخرت كتب سيف الدولة في بذل الفداء ، وقد أسرف أبو فراس في رسائله إليه يستعجله به ، أرسل الأمير إليه كتاباً قرَّعه فيه فأنشأ قصيدة تكاد أبياتها تكون حبات دموع حارة ، فجاءت المقدمة الغزلية معبرة عن هذه الحالة الشعورية ، وهي أشبه ما تكون بمرآة للغليان الذي انتاب قلب أبي فراس وأولها[(٢)] :

أبَى غربُ هذا الدمعِ إلا تَسَرُّعَا ... ومكنونُ هذا الحبِّ إلا تَضَوّعَا
وكنتُ أرى أنّي مع الحزمِ واحدٌ ... إذا ماشئتُ لي مُمْضىً وإن شئتُ مُرجعًا
فلمَّا استمرَّ الحبُّ في غلَوَائِه ... رَعَيْتُ مع المضياعَةِ الحبَّ مارعَا
فَحُزْنِي حُزْنُ الهائمينَ مُبَرِّحاً ... وسِرِّيَ سِرُّ العاشقينَ مُضَيَّعَا

ومما يؤكد الارتباط بين موضوع القصيدة والمقدمة الغزلية أن أبا فراس عاد يناجي خليليه في وسط القصيدة ، وقد ناجاهما في مقدمتها يقول[(٣)] :

(١) الديوان : ٢ / ٤٥ – ٤٦ .
(٢) الديوان : ٢ / ٢٤٥ – ٢٤٦ .
(٣) الديوان : ٢ / ٢٤٨ .

فقولا لـــه من أصدقِ الـــوُدِّ إنَّنـــي جعلتُك مما رابـــني الـــدَّهرُ مَفْزِعَـــا

وتعد (الرائية) (أراكَ عصيَّ الدَمْعِ) أروع ما قال (أبو فراس) في أسره ، بل في شعره كله ، بل إن كثيراً من النقاد ليفضلونها على مثيلاتها من عيون الشعر العربي ، وقد نالت شهرة واسعة ؛ حتى لقد ارتبط ذكر أبي فراس بها ، وسارت حِكَمُها على ألسنة الناس يرددونها في كل مكان ، وفي كل كتاب .

والقصيدة بنيت على غرضين ؛ الغزل والفخر ، وقد تحدثتُ عن الفخر فيها سابقاً على أن الجزء الأهم فيها هو مقدمتها الغزلية ، والتي تركت للنقاد مجالاً واسعاً لتفسيرها تفسيرات متعددة ، هل هِي من الغزل الحقيقي ؟ أم الرمزي ؟ أم مجرد تقديم لغرض الفخر كما يفعل شعراء العربية في العصور السالفة ؟

إنّ المتأمل في أبياتها بحس دقيق ، وذوق رفيع ، ليجد أن وراءها معاني غير ما يظهر منها ، وأنها قطعة من قلب أبي فراس وجزء من شخصيته ، جاءت كلماتها معبرة عن معانيها أدق تعبير ، وتراكيبها ناطقة بما يختلج في صدر الشاعر الأسير ، تفيض بالحب ، وتجاهد المحبوبة المجهولة ، وجاء الحوار فيها يشد السمع والقلب معاً ، فيه متعة ، ومفاجأة ، وغرابة ...

يبدؤها مخاطباً نفسه[1] :

أراكَ عصيَّ الدَمْعِ شِيْمَتُكَ الـــصَّبْرُ أما للهَوى نَهْـــيٌ عليـــكَ ولا أمْـــرُ
بلى أنَا مُـــشْتَاقٌ وعنـــديَ لوعَـــةٌ ولكنَّ مثلـــي لا يُـــذَاعُ لَـــهُ سِـــرُّ

---

(١) الديوان : ٢ / ٢٠٩ – ٢١٠ .

إذا اللَّيلُ أضواني بسطتُ يدَ الهــوى وأذللتُ دمعاً من خَلائقــه الكِبْــرُ
تكادُ تُضِيْءُ النَّــارُ بــينَ جَــوانحي إذا هيَ أذْكَتْها الــصَّبَابَةُ والفِكْــرُ

ويؤكد كثير من الباحثين أنها من الشعر الرمزي الذي عرف في بعض المقدمات الغزلية في الشعر العربي القديم ، يقول د.درويش الجندي : " والرمزية في الغزل معروفة من القدم في الشعر العربي ، ومن الأدباء من يعد الافتتاحية الغزلية في الشعر الجاهلي صورة رمزية ... ونحن وإن كنا لا نقول بعموم هذه الرمزية في جميع الغزل التمهيدي في العصر الجاهلي .. إلا أننا لا نشك في أن هذا الغزل كان ينحو منحى الرمزية مما يدل على قدم هذه النزعة في الشعر العربي "[(١)] ثم يقول : " وقد انفلتت من أبي فراس بعض أبيات في غزله القليل في قصائده الروميات نلمح فيها مثل هذه الرمزية "[(٢)] ومثل بأبيات من هذه القصيدة ، ويشير هو وغيره من بعض الباحثين إلى أنه يرمز في رائيته إلى ابن عمه سيف الدولة وتَمَنُّعِهِ عليه ، وإنكاره لبعض صفاته أحياناً .

ويذهب بعضهم بعيداً مفسراً القصيدة كلها تفسيراً رومانسياً يقول خليل شرف الدين : " في الواقع هذه القصيدة ليست غزلاً محضاً ولا هي فخراً محضاً : إنها سورة ذكريات تبريرية لنفس عالقة على مشارف مجد مفقود ، وسعادة مأسورة ، وما الحسناء التي يحاورها الشاعر متغزلاً ، سوى رمز من رموز تشامخه وفتوّته ، ومعايشته للجمال الأميري أيام كان فتى طليق الجناحين ، يثير حوله إعجاب الرجال والنساء على

(١) الشعر في ظل سيف الدولة : ٣١١ .
(٢) الرمزية في الأدب العربي د.درويش الجندي – دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة ، القاهرة ١٩٥٨م : ٢٨٨ .

السواء "[1] ولكلٍّ رأيه .. وقد رأيت – كما استفدته من أحد أساتذتي – أن حسناءه هي الحرية التي فقدها وقد بذل في سبيلها كل نفيس وكان أحد قتلاها الكُثر وهاهي تتعنت أمامه بعد أن تنكرت لماضيه .

ولا ننسى أن فكرة الفداء – وهو سبيل الحرية – كانت الفكرة السائدة على الروميات وإن كثيراً من أبيات القصيدة لتتضح معانيها حين نسير في تفسيرها على هذا الأساس يقول أبو فراس[2] :

مُعَلِّلَتي بالوَصْلِ والموتُ دُونَه — إذا متُّ ظمآناً فلا نَزَلَ القطرُ
حَفظْتُ وضَيَّعْتِ المودَّةَ بيننا — وأحسنُ من بعضِ الوفاءِ لك العُذْرُ
بنفسي من الغادينَ في الحيِّ غادةٌ — هوايَ لها ذنبٌ وبهجتُها عُذْرُ
تروغُ إلى الواشينَ فيَّ وإنَّ لي — لأُذْنًا بها عن كُلِّ واشيةٍ وَقْرُ
بدوتُ وأهليْ حَاضِرُونَ لأنَّني — أرى أنَّ داراً لستِ من أهلِها قفرُ
وحَاربْتُ قومي في هواكِ وإنَّهم — وإيَّايَ لولا حبُّكِ الماءُ والخمرُ

وينشئ حواراً مع المحبوبة المتمنعة فيقول[3] :

تسائلُني من أنتَ ؟ وهي عليمةٌ — وهلْ بفتىً مثلي على حالِه نُكْرُ
فقلتُ كما شاءَتْ وشاءَ لها الهوى : — (قتيلُكِ) قالتْ :(أيُّهُمْ ؟ فهم كُثْرُ)

---

(١) ابو فراس الحمداني فتوة رومانسية – دار الهلال – بيروت خليل شرف الدين ١٩٨١م : ١٨٢ .
(٢) الديوان : ٢ / ٢١٠ .
(٣) الديوان : ٢ / ٢١٠ – ٢١١ .

فقلتُ لها : (لـو شـئتِ لم تَتَعَـنَّتي ولم تسألي عنِّي وعنـدكِ بي خُبْـرُ)
فقالت:(لقد أزْرَى بكَ الدَّهْرُ بعدَنا) فقلتُ : (معاذَ اللهِ بلْ أنتِ لاالـدَّهرُ
وما كانَ للأحزانِ – لولاكِ – مَسْلَكٌ إلى القلبِ لكنَّ الهوى للبَلى جِسْرُ)

" إذنْ فسمات الرمزية واضحة في جنبات القصيدة إلى حد بعيد ، الأمر الذي لا يبعد معه أن تكون كذلك ، وخاصة إذا عرفنا ضيق أبي فراس بأسره مما دفعه إلى طرق هذه المعاني "[(١)] .

ومن مقطعاته الغزلية التي تذوب رقة وجمالاً قوله[(٢)] :

يا لَيْلُ ما أغفـلَ عمَّـا بي حبـائبي فيـكَ وأحبـابي
ياليلُ نامَ النَّاس عن موجعٍ ناءٍ على مـضجعه نـابِ
هبَّتْ لـه ريـحٌ شـآميةٌ متَّتْ إلى القلب بأسْـبَابِ
أدَّتْ رسالاتِ حبيبٍ لنـا فَهِمْتُها من بـينِ أصـحابي

وكان الصاحبُ يستظرف هذين البيتين (الأخيرين) ويستعملهما ويكثر إعجابه بهما[(٣)] .

سمات غزله :

– من " كل ما ذكر من نماذج للشاعر الحمداني في موضوع الغزل يبدو أن له قلباً كان بالحب عامراً وعواطف كانت في تحسس الجمال والانقياد لسحر طبعه ماثلة ،

(١) فنون الشعر : ٢٦٦ .
(٢) الديوان : ٢ /٥٢ .
(٣) اليتيمة : ١ / ٩١ .

وطابع الغناء يلوح على أكثر هذه النماذج ... ففي هذا الشعر حلاوة وعذوبة تذهب به إلى الشعر الغنائي العالي "[١].

– استهل أبو فراس عدداً من رومياته بالغزل " وأبو فراس حين يجعل الغزل مقدمة لأغراض أخرى يجتهد غالباً في أن يجعل روح الغزل مناسبة لروح الموضوع الذي يقصد إليه "[٢].

كما مرّ في عدد من الأمثلة ، وبرز فيها حسن تخلصه من الغزل إلى غرضه الأساس .

– كما يلحظ أنه سار على نهج الأقدمين من ذكر الخليلين أو الراكبين وذلك في عدد من قصائده كما ذكر الرسوم ووقف على الأطلال وتغزل بالعامرية .

– يقول د.مصطفى الشكعة : " وخير ما لاحظنا في أبيات أبي فراس الغزلية هذه السهولة التي لم تخل من جمال ظاهر وتصوير محبوك ، وإن كانت العاطفة بينها تأتي في المرتبة الثانية ، على أن ذلك لا يجرد أبا فراس من العاطفة المتأججة والصبابة المحرقة ، ولعل قصيدته : (أراك عصي الدمع ...) أكبر شاهد على قوة حس الشاعر وصدق عاطفته فهي في نظرنا من أرق ما قيل في الغزل في الشعر العربي "[٣] .

– ويلحظ د.أحمد بدوي أن " غزل أبي فراس قصير النفس ، لا يكاد يتجاوز ما أنشأه للغزل قصداً البيتين والثلاثة غالباً مكتفياً بذلك التعبير عما ألم به من انفعال سريع"[٤].

---

(١) شاعرية أبي فراس : ٤٧ .
(٢) شاعر بني حمدان : ١٠٣ .
(٣) فنون الشعر : ٣١٦ .
(٤) شاعر بني حمدان : ٧٩ .

- كما يلحظ في غزل أبي فراس سواء الحقيقي منه والتقليدي أنه غزل فارس ، تلمس فيه روح الفتوة ، وتجد منثوراً بين أبياته لغة الفرسان المحاربين ، ويأخذ من هذه اللغة تشبيهاته واستطراداته"[(١)] .

- وقد " شذ أبو فراس عن متغزلي المولدين بأنه لم يبالغ في التذلل لمن يحبه "[(٢)] كما في موقفه من المرأة في البائية التي عرضت لها من قبل بينما هناك عدد من الشعراء الفرسان تذللوا لمن يحبون .

- ظهور الغزل الرمزي كما في رائيته الشهيرة .

الرائية في الأدب العربي :

وللرائية التي عرضت لها في الفخر والغزل شهرة خاصة بين الناس ، وكانت مقصداً لآراء النقاد ، ومعارضات الشعراء ، وعنايتهم بتشطيرها وتخميسها .

فقد عارضها الشاعر محمود سامي البارودي وهو في منفاه في (سرنديب) بقصيدة جيدة ، ولكنها دون رائية أبي فراس في الروعة والشهرة .

وقد أفرد د.زكي مبارك مبحثاً[(٣)] في كتابه (الموازنة بين الشعراء) وازن فيه بين القصيدتين ، لعلّي أقتبس منه مجمل ملحوظاته أمر بها سريعاً لنرى الفرق بين القصيدتين:

---

(١) المصدر نفسه : ١٠٢ .

(٢) أبو فراس - كتاب جورج - : ٦٦ - ٦٧ .

(٣) الموازنة بين الشعراء ٣١٤ - ٣٢٩ .

– عارض البارودي في مطلع قصيدته مطلع قصيدة أبي فراس وجعل حبه أشد من أن يكتم أمره ، ولا يبث إلا في خلوات الليل كما فعل أبوفراس فقال(١) :

طَرِبْتُ وعـادتني المَخِيْلَـةُ والسُّكْرُ	وأصبحتُ لا يَلْوي بشيمتي الزَّجْرُ
كـأنِّيَ مخمـورٌ سَـرَتْ بلِسَـانه	مُعَتَّقةٌ مما يَضِنُّ بها التّجْـرُ
صريعُ هوىً يُلوى بي الشوقُ كُلَّمـا	تلألأ بـرقٌ أو سـرت ديمٌ غُـزْرُ
إذا مـالَ مِيْـزَانُ النَّهـارِ رأيـتني	على حَسَراتٍ لا يُقاوِمُها صَـبْرُ

– والبارودي لم يستمر في غزله أكثر من أحد عشر بيتاً ، أما أبو فراس فجاوز بغزله عشرين بيتاً قدم فيها صوراً من التشبيب عاتب فيها حبيبته .

– كما لحظ الكاتب أن أبا فراس اقتضب فانتقل فجأة من النسيب إلى الفخر أما البارودي فترفق في التخلص حين قال(٢) :

وكفكفتُ دَمْعَاً لو أسَلْتُ شُئُونَه	على الأرضِ ما شَكَ امرؤٌ أنَّه البحرُ
حياء وكِـبراً أن يُقـالَ تَرَجَّحَـتْ	به صَبْوَةٌ أو فَلَّ من غَرْبِـه الهَجْـرُ
وإنِّي امرؤٌ لولا العوائـقُ أذعَنَـتْ	لسلطانِهِ البـدو المغـيرةُ والحَـضْرُ

---

(١) ديوان البارودي / محمود سامي البارودي باشا – تحقيق وشرح علي الجارم ، محمد شفيق معروف – دار المعارف بمصر ١٣٩١هـ ١٩٧١م : ٢ / ٣٩ – ٤٠ .

(٢) المرجع نفسه : ٢ / ٤١ – ٤٢ .

ولست مع د.زكي مبارك في هذه النقطة ؛ ذلك لأن أبا فراس لم يُشعر بانتقاله فقد استمر في خطاب المحبوبة في بيتين من الفخر حتى خلص إليه[(١)] وأما في مجال الفخر: فالظروف السيئة التي أحاطت بالبارودي من احتلال بلده ونفيه إلى سرنديب جعلته يشعر باقتراب النهاية فأصدرها زفرات حارة[(٢)] :

وإنّي امرؤٌ لولا العوائقُ أذعَنَتْ ... لسلطانه البدو المغيرةُ والحَضَرُ

أما أبو فراس الذي ينتظره الجيش والإمارة بعد أن يفك أسره فإنه يشمخ بقوله[(٣)] :

وإنّي لَنَزَّالٌ بكُلِّ مَخُوفَةٍ ... كثيرٌ إلى نُزَّالها النَّظَرُ الشَزْرُ

وإنّي لجرّارٌ لكلِّ كتيبةٍ ... معوَّدةٍ ألا يُخِلَّ بها النَّصرُ

...إلخ

وهذا منتهى الفخر .

- ويلحظ الكاتب أيضاً أن أبا فراس لا يذكر غير نفسه فقد بُحَّ صوته وهو يستنجد بقومه ولا مجيب ، أما البارودي فيجعل مجده مجد قومه[(٤)] :

من النَّفَرِ الغُرِّ الذينَ سيوفُهُم ... لها في حواشي كُلِّ داجيةٍ فَجْرُ

إذا استلَّ منهم سَيِّدٌ غَرْبَ سيفِه ... تفزَّعَتِ الأفلاكُ والتفَتَ الدَّهرُ...إلخ

---

(١) الديوان : ٢ / ٢٠٩ .

(٢) ديوان البارودي : ٢ / ٤١ .

(٣) الديوان : ٢/٢١١ - ٢١٢ .

(٤) ديوان البارودي : ٢/٤٢ .

والواقع أن أبا فراس لم ينس قومه في قصيدته فقد ختمها بثلاثة أبيات يفخر فيها بهم حتى جعلهم أعزَّ بني الدنيا(١) .

وبعد : فقد سارت قصيدة " أبي فراس في كل أرض وتغنى بها الناس في جميع البلاد العربية ..

فقوله : " لنا الصدر دون العالمين أو القبر " يحفظه كل أديب .

وقوله :"ومن يخطب الحسناء لا يغله المهر" مازال المتأدبون يستشهدون به.

أما قصيدة البارودي فقد نسيت مع الأسف الموجع ، و لم يحفظ منها غير هذا البيت(٢) :

إذا استلَّ منهم سَيِّدٌ غَـرْبَ سـيفِه تفزَّعَتِ الأفلاكُ والتَفَـتَ الـدَّهرُ

أما التشطير فأذكر منه ما قام به الشيخ أحمد الكناني إعجاباً منه بها يقول في المقدمة: " ومنها هذه القصيدة التي رقت فلم تشتك سقماً ولا وهناً ، ودقت ولكن حينما عظمت معنى ، ألفت متانة السياق ، واحتضنت البديع من حسن الالتفاف ، وتجافت عن الحشو والتعقيد ، فكانت هي الشعر لمن تصدى ، والمعجزة التي يظهر بها من تحدى(٣) ثم ذكر أن سبب قيامه بتشطيرها هو إعجابه بها ، وأن سبب شرحها : إيضاحها .

---

(١) الديوان : ٢/٢١٤ .

(٢) ديوان البارودي : ٢/٤٢ .

(٣) ديوان الكناني ويليه كتاب إيناس الجلاس بتشطير وشرح قصيدة " أبي فراس " تأليف الشيخ / محمد الكناني الأبياري – مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة – ١٣٤٤هـ ١٩٢٦م : ٥٧ .

وسماها : إيناس الجلاس بتشطير وشرح قصيدة أبي فراس . ومنها[١] :

(أراكَ عصيَّ الدَمْعِ شِيْمَتُكَ الصَّبْرُ كأنَّك تستجلي هوى طبعُه الصَّبْرُ
ولم تَستَمِلْكَ الغانَياتُ بِدلِّها (أما للهَوى نَهيٌ عليكَ ولا أمْرُ)
(بلى أنَا مُشْتَاقٌ وعنديَ لوعَةٌ) وفي كبدي الحَّرى قد اضطرمَ الجمرُ
وإن عُدَّ أربابُ الهوى كنتُ أوّلاً (ولكنَّ مثلي لا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ)

وعلق د.أحمد بدوي على هذا التشطير بقوله :

" وليس في تشطيره من جديد سوى زيادة عدد الأبيات ، وكان عمل المشطر أن كرر المعنى أو فصله بعض التفصيل " . وقال معلقاً على ما أورده من التشطير : " وعلى هذا النسق يسير لا يأتي بمعنى جديد ولا يكمل معنى جاء به الشاعر الأول ، ولا ريب أن ما جاء به الكناني شديد الضعف بموازنته بما جاء به أبو فراس "[٢] وخمس هذه الرائية الجنبيهي المعاصر للكناني ، وهذا التخميس أقل قوة من تشطير معاصره ، وقد أضعف القصيدة ، وأنهك معناها، وكثيراً ما كان يتلمس الوصول إلى البيت بمعان ليست في الصميم كما ترى في قوله:

وليسَ لها مابينَ لينٍ وعَطْفَةٍ وبين الجفا والصَّدِّ أدنى مسافةِ
لِذا صِرْتُ منها في ارتعادٍ ورجفةٍ (وإني لنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةِ
كثيرٌ إلى نُزَّالها النَّظَرُ الشَّزْرُ)

---

(١) المرجع نفسه : ٥٨ .

(٢) شاعر بني حمدان : ١٥٩ .

فأنت ترى ضعف التأليف ، وكيف كان الشاعر يلتمس المعاني التي تصل به إلى البيت لأدنى ملابسة ، وكيف أن الجمع بين الغزل والفخر أضعف كليهما ، ولكنك تحس بقوة القصيدة منفردة عن التشطير والتخميس[(١)] .

(١) شاعر بني حمدان : ١٥٩ - ١٦٠ .

٦- الرثاء :

رثى أبو فراس في أسره أمّه ، وابن أخته ، وأخت سيف الدولة وكلهم ممن يمتون له بصلات نسب وحب وتقدير فجاءت مراثيه ، غاية في الروعة والمشاعر الصادقة وأبدأ بفجيعته في أمه :

حين تلم الأحداث والآلام بقلب الشاعر بسبب أسره وجفاء سيف الدولة وغيرهما، يتذكر أمه الحبيبة " التي عاشت من أجل وحيدها طفلاً وصبياً ويافعاً ، تسهر على تربيته وتنشئته حتى يترعرع ، ويبلغ مبلغ الرجال لتجد فيه العوض عن أبيه ... وتجعل من طفلها أهلاً ووطناً وسكناً ، وكذلك كان شعور أبي فراس نحو أمه وكانت له الأب والأم ، والأهل والوطن ، والملجأ والسكن ، وما إن طال سجنه حتى طار صوابه وصوابها ، وهو يقول الشعر ويشكو ، وهي تطرق أبواب سيف الدولة وتذرف الدموع "[1] حتى اكتملت مأساة أبي فراس بفقد أعز مخلوق لديه ، كان مستودع آلامه وأسراره ، ومقصد آهاته وعبراته ، فاشتعلت نار الفقد بين جنبيه وانهالت عليه الآلام من كل حدب وصوب ؛ تنهش قلبه الملوع ، فيرسل " ذوب نفسه ونفثات حشاه الجريح ، وصبابات قلبه الراعف بالجراح ، حتى يخيل إلينا أنا نسمع نشيج بكائه "[2] يقول[3] :

أيَا أُمَّ الأسِيرِ سقاكِ غيثٌ ... بكرهٍ منكِ مالقيَ الأسيرُ
أيَا أُمَّ الأسِيرِ سقاكِ غيثٌ ... تحيَّرَ لا يقيمُ ولايَسيرُ

---

(١) فنون الشعر : ٣٧٩ .
(٢) الشعر في رحاب سيف الدولة : ٢٠٦ .
(٣) الديوان : ٢/٢١٧ .

أيَـا أُمَّ الأسِـيرِ سَـقاكِ غيـثٌ ... إلى مـن بالفِـدا يـأتي البـشيرُ ؟
أيَـا أُمَّ الأسِـيرِ لمـن تُرَبَّـى ... –وقد مُتِّ– الذوائِبُ والـشعورُ ؟

ثم يذكر حالته وما آل إليه بعد أن فقد صدرها الحاني ويبكيها بكاء مراً ولكنه لا يبكيها وحده ، وإنما تبكيها معه الفضائل التي خلفتها والأخلاق الكريمة التي كانت من شيمتها[١] :

إذا ابنُك سـارَ في بـرٍّ وبحـرٍ ... فمنْ يدعو لـهُ أو يـستجيرُ
حَرامٌ أن يَبيـتَ قريـرَ عـينٍ ... ولـؤمٌ أن يُلِـمَّ بـه الـسُّرورُ
وقد ذُقْـتِ الرَّزايـا والمنايـا ... ولا ولـدٌ لـديكِ ولا عـشيرُ
وغابَ حبيبُ قلبكِ عن مكـانٍ ... ملائكةُ الـسماءِ بـه حـضورُ
ليبكِكِ كلُّ يومٍ صُـمتِ فيـهِ ... مصابرةً وقـد حَمِـيَ الهجـيرُ
ليبكِكِ كُلُّ ليـلٍ قمـتِ فيـهِ ... إلى أن يبتـدي الفجـرُ المـنيرُ
ليبكِكِ كلُّ مُـضطَهَدٍ مَخُـوفٍ ... أجرتيـهِ وقـد عَـزَّ المُجِـيرُ
أيـا أُمَّـاهُ كَـمْ هـمٍّ طويـلٍ ... مضى بكِ لم يكنْ منهُ نَـصيرُ !؟
أيا أُمَّـاه كَـمْ سـرٍ مَـصونٍ ... بقلبِكِ ماتَ ليس لـه ظهـورُ

ثم يشير إلى تشوقها لفكاكه من أسره ، وهي قضيته التي لا ينساها في غرض من أغراضه ثم يعود إلى تحسره على فقدها[٢] :

---

(١) الديوان : ٢١٧/٢ .
(٢) الديوان : ٢١٨/٢ .

أيــا أُمَّــاهُ كــم بُــشرى بقــربي أتتك ، ودُونَها الأجَـلُ القَـصيرُ ؟
إلى مَنْ أشــتكي ؟ ولِمَــنْ أُنَــاجي إذا ضَاقَتْ بمـا فيهـا الـصُّدور ؟
بــأيِّ دعــاءِ داعيــةٍ أُوَقَّــى ؟ بــأيِّ ضــياءِ وجــهِ أســتنيرُ ؟
بمــنْ يُــسْتَدْفَعُ القَــدَرُ المُــوفَّى ؟ بِمَنْ يُــسْتَفْتَحُ الأمْــرُ العــسيرُ ؟

ويختم ببيت رائع يبدو فيه حبه التام لأمه بحيث لا يجد عزاء يشفيه إلا لقاءها بالموت[(١)] :

نُسلَّى عنــكِ : أنَّــا عــن قليــلٍ إلى ماصِــرْتِ في الأُخــرى نــصيرُ

" تزخر هذه المرثية بالعواطف الصادقة التي صدرت عن نفس متألمة حزينة ويبدو الشاعر فيها مسايراً نهج القصيدة العربية في الرثاء ، ويتمثل ذلك في الدّعاء بالسقيا لجَدَثِ والدته ، ثم الحديث عن مناقبها وخلالها"[(٢)] .

وفي سنة ٣٥٤هـــ مات أبو المكارم بن سيف الدولة وكان بالغاً مبلغ الشباب ، و لم يمض بعد على زواجه شهور ثلاثة، فعلم أبو فراس بوفاته ، وكان الفقيد ابناً لأخته، فأرسل من الأسر قصيدة يعزي فيها سيف الدولة ويرثي الأمير الفقيد ، وبدأها بمدح الأمير بالصبر ليحمله عليه فيما يظهر[(٣)] :

ياعَمَّر اللهُ ســيفَ الــدينِ مغتبطــاً فكلُّ حادثَــةٍ يُرمَــى بهــا جلَــلُ
يبكي الرِّجَالُ وسيفُ الدينِ مبتــسمٌ حتَّى عن ابنِكَ تُعْطَى الصبْرَ ياجبــلُ

---

(١) الديوان : ٢/ ٢١٨ .
(٢) حياته وشعره : ٣٠٦ .
(٣) الديوان : ٢/ ٢٧٥ – ٢٧٦ .

ثم يلتفت إلى الفقيد فيقول :

ما بعد فقدكَ في أهْلٍ ولا ولدٍ — ولا حياةٍ ولا دنيا لنا أملُ

ويعد كل ما يتصور أنه يفديه ولكن الموت تخطاها جميعاً ليفترسه من بينها .

" ولعل مبعث الحسرة والألم أمران : الأمر الأول : أن الفقيد ابن أخته ، والثاني : حالة أبي فراس النفسية وقد ظللته كآبة الأسر ووحشة البعد عن الأهل"[(١)] ومن مراثيه الرائعة مرثيته في أخت سيف الدولة وقد أرسلها من الأسر يعزيه بها[(٢)] :

أُوصِيْكَ بالحُزْنِ لاأوصيكَ بالجَلَدِ — جَلَّ المُصَابُ عن التَّعنيفِ والفَنَدِ
إني أجلّكَ أن تُكفى بتعزيةٍ — عن خيرِ مفْتَقَدٍ ياخيرَ مُفْتَقِدِ
هي الرَّزيَّةُ إن ضَنَّتْ بماملكت — منها الجفونُ فما تسخو على أحدِ

ثم يظهر حزنه العميق ، وتأثره البالغ ، بفقدها ليشارك سيف الدولة حرّ المصيبة ووقعها الشديد على نفسه :

بي مثلُ مابكَ من حُزْنٍ ومن جَزَعِ — وقد لجأتُ إلى صبرٍ فلم أجدِ
لم ينتقصني بُعدي عنكَ من حُزُنٍ — هي المواساةُ في قُربٍ وفي بُعُدِ
لأشركنَّك في اللأواء إن طرقت — كما شكيتك في النعماء والرغدِ
أبكي بدمعٍ له من حسرتي مددٌ — وأستريحُ إلى صَبْرٍ بلا مَدَدِ
ولا أُسَوِّغُ نفسي فَرْحَةً أبداً — وقد عَرفتُ الذي تَلقاه من كَمَدِ

---

(١) فنون الشعر : ٢٩٣ .

(٢) الديوان : ٢/٧٠ .

وأمنعُ النَّـومَ عـيني أن يُلِـمَّ بهـا علماً بأنَّكَ موقوفٌ علـى السَّهَدِ

ثم يختم هذا الرثاء بتذكير الأمير بفدائه وإن كان لا يصرح بذلك بل يعرض به ، ولعل المقام يحتم عليه ذلك ؛ يقول(١) :

يا مُفرداً باتَ يبكـي لامعـينَ لَـهُ أعانَـكَ اللهُ بالتَّـسليمِ والجلَـدِ
هذا الأسيرُ المُبَقَّى لا فـداءَ لـهُ يفديكَ بالنفسِ والأهلـينَ والولـدِ

ورثى أخت سيف الدولة في مقطعة أخرى و لم يذكرها وهي تعزية محضة(٢) :

قـولا لهـذا الـسيِّدِ الماجـدِ قـولَ حـزينٍ مثلـه فاقـدِ
هيهاتَ ما في النـاسِ مـن خالـدٍ لابُـدَّ مـن فقـدٍ ومـن فاقـدِ
كـن المعـزَّى لا المعـزَّى بِـهِ إن كـانَ لابُـدَّ مـن الواحـدِ

سمات رثائه :

ويبدو لي من سمات هذا الفن في الروميات ما يلي :

– عاطفته الصادقة ولعل ذلك لصلة المرثي القوية بالشاعر وقد أدت بالتالي إلى إجادة التعبير عن الحزن وتصوير اللوعة والأسى(٣) ولذلك فرثاؤه لأمه أحر عاطفة من غيره لقربها الشديد إلى نفسه. و لم لا ؟ .

– نظراً لاقتصاره على رثاء أقاربه فقد قلت بالتالي مراثيه .

(١) الديوان : ٢/٧١ .
(٢) الديوان : ٢ / ٧١ .
(٣) انظر (الشعر في رحاب سيف الدولة) : ٢٠١ .

– خلط رثاءه ببعض الأغراض – كعادته – كالشكوى في رثائه لأمه ، وطلب الفداء في رثاء أخت سيف الدولة والحكمة كذلك كما في قوله في المقطعة الأخيرة

هيهاتَ ما في الناسِ من خالدٍ لا بُدَّ من فقدٍ ومن فاقدِ

– هذا الأسلوب الخاص الذي طبع رثاءه ، وهو كثرة التكرار والاستفهامات ولعله وجد فيه مجالاً ليسكب فيه مشاعره المتدفقة ويستنفد به طاقاته الشعورية .

– ونشير أخيراً إلى أن الشاعر بدا في بعض قصائده ، وكأنه يرثي نفسه ، ولذلك عدَّ البارودي قصيدته (مصابي جليل والعزاء جميل) التي أرسلها إلى أمه شاكياً إحدى مراثيه لنفسه " وهي بباب الرثاء أشبه " كما يقول [(١)].

---

(١) مختارات البارودي : ٣/٣٣٩ – دار العلم للجميع – بيروت سنة الطبع ؟ .

٧- الحكمة :

" الحكمة التي نجدها عند شاعر بني حمدان تعبير عن فكرة مرت بخاطره أوحى بها إليه حادث عرض ، فسجلها وصاغها في أسلوبه ، وساقها في الموضع اللائق بها "(١) ولعل لظروفه التي مر بها من عداوة أهله وتنكرهم له ، وقسوة الأسر على نفسه أثراً على شيوع الحكمة في شعره ، لأن الحكمة نتيجة لتجربة يمر بها الحكيم . هذا إلى جانب شيوع الحكمة وذيوعها عند شعراء عصره وخاصة الشاعر الحكيم أبو الطيب المتنبي وقد " استوحى أبو فراس معظم الحكم من ظرفه الخاص المتمثل في أسره ، وفي موقف أقاربه وأصدقائه ، فجاء كثير منها معبراً عن حالة الشاعر التي كان يعاني منها ، ومتحدثاً عن الصداقة والأصدقاء وما إلى ذلك "(٢) كما أن فخره بنفسه ونظرته لها نظرة الإجلال والإكبار ، أوحى له ذلك كله حكماً فريدة لا نزال نرددها في مواضعها إلى عصرنا الحاضر .

- استمع إليه يقول(٣) :

وهل يُرتَجــى للأمْــرِ إلا رجالــهُ ويأتي بصوبِ المُزْنِ إلا الــسَّحائِبُ

ولعله استوحاها من شعوره الحاد باستغناء أهله عنه ، برجال آخرين حاولوا أن يسيروا على نهجه ؛ ليصلوا إلى ما وصل إليه فأخطأهم الطريق ، وخانتهم الخُطا(٤) :

(١) شاعر بني حمدان : ١١٨ .
(٢) حياته وشعره : ٣٢٥ .
(٣) الديوان : ٢/٣٢ .
(٤) الديوان : ٢/٨٠ .

فما كُلُّ مـن شـاءَ المعالي ينالُهـا ... ولا كُلُّ سـيَّارٍ إلى المَجْـدِ يهتـدي

وقوله(١) :

قليلُ اعتـذار مـن يبيـتُ ذنوبُـه ... طلابُ المعالي واكتسابُ المحامـدِ
لعمرُكَ مـا طُـرُقُ المعالي خَفِيـةً ... ولكنَّ بعضَ السَّيْرِ لـيسَ بقاصـدِ

ويعالج هذه القضية التي أقلقته في عدد من حكمه يبثها في عدد كبير من رومياته يقول في رائيته(٢) :

سيذكرني قَـومي إذا جـدَّ جِـدُّهم ... وفي الليلةِ الظَّلمـاءِ يُفْتَقَـدُ البـدرُ
ولو سَدَّ غيري ما سددتُ اكتفوا بـه ... وما كان يغلو التِّبْرُ لو نَفَقَ الـصِّفْرُ

وفي عينيته يصوغ حكمة في بيت سيار يضرب في الاقتناع بغير ما هو مرضٍ لعدم وجود الفضل فيقول(٣) :

لقد قنعوا بعدي من القَطْرِ بالنَّـدى ... ومـن لم يجـدْ إلا القنـوعَ تقنَّعَـا

ومن فخره الذي أنتج حكمة رائعة يحفظها كثير من الناس قوله(٤) :

---

(١) الديوان : ٨٢/٢ .
(٢) الديوان : ٢١٣/٢ – ٢١٤ .
(٣) الديوان : ٢٤٧/١ .
(٤) الديوان : ٢١٤/٢ .

تَهـونُ علينَـا في المعـالي نفوسُـنا ... ومن خَطَبَ الحسناءَ لم يَغْلُه المَهْـر

ودافع أبو فراس في رومياته عن نفسه تهمة الضعف التي ربما توجه إليه بسبب وقوعه في الأسر ، وصاغ في هذا حكماً منها(١) :

ألم يعلمِ الـذّلانُ أن بـني الـوَغَى ... كذاكَ سـليبٌ بالرِّمـاحِ وسَـالبُ

فالدهر يومان ؛ يوم لك ويوم عليك ، والفارس المحارب ربما ينهزم كما كان النصر حليفه دائماً .

– وأما فلسفته في الموت فإنه يقرر حتميته فيقول(٢) :

هيهاتَ ما في النَّاس مِن خالد ... لا بُدَّ من فَقْدٍ ومـن فاقِـدِ

وفي الموت تتساوى الرؤوس فلا فضل لأحد على أحد ، وهو المصير مهما عمِّر ابنُ آدم(٣) :

بنو الدُّنيا إذا ماتُوا سـواءٌ ... ولو عُمِرَ المُعَمَّرُ ألفَ عـامِ

ولكن الحرَّ يعرف كيف يموت ؛ فهو يختار الميتة النبيلة التي يبقى بها الإنسان في قلوب الناس مخلداً(٤)

---

(١) الديوان : ٣١/٢ .
(٢) الديوان : ٧١/٢ .
(٣) الديوان : ٢/ ٣٧٥ .
(٤) الديوان : ٢١٣/٢ .

هو الموتُ فاخترْ ما علا لكَ ذكـرُه   فلم يمتِ الإنسانُ مـاحَيِي الـذِّكْرُ

– وكان للأخلاق الكريمة التي يمجدها أبو فراس أثر واضح في حكمه ، ورأيت أن الأخلاق التي ذكرها لها مساس بحاله ، فهو يتعجب من معاتبة الكريم على كرمه في قوله(١) :

ضلالٌ مارأيتُ من الـضَّلالِ   معاتبةُ الكريمِ علـى النَّـوالِ

ولعله في هذا يستدر كرم سيف الدولة ليفك أسره .

ويقول ذاكراً خلة من أروع الخلل وأندرها(٢) :

كذاكَ الوَدَادُ المحضُ لا يُرتَجى لـه   ثوابٌ ولا يُخْـشَى عليـه عِقـابُ

ولعله يشير إلى حبه لـسيف الدولة مع تأخره عنه في قضية الفداء

ومن جهة أخرى فيه تعريض بأصدقائه الذين تركوه حين يئسوا منه .

ويؤكد المعنى السابق بمعنى فيه فدائية وإخلاص فيقول(٣) :

فمن لم يَجُدْ بالنَّفسِ دونَ حَبيبِه   فما هُوَ إلا مَاذِقُ(٤) الوُدِّ كَـاذِبُ

وتبدو من هذا البيت شفافية روح أبي فراس وعمق حبه ، وهل بعد التضحية لمن يحب من شيء ؟

---

(١) الديوان : ٢/٢٨٠ .

(٢) الديوان : ٢/٢٤ .

(٣) الديوان : ٢/٣٣ .

(٤) ماذق : كاذب .

- ومن أبرز ما يتسم به أبو فراس في سلوكه الشخصي العزة والإباء وقد ظهرت هاتان الصفتان في حكمه ، وكأنه يبين مبادئه التي يسير عليها في حياته فيقول[(١)] :

ولا أنا رَاضٍ إنْ كَثُـرْنَ مكاسبي إذا لَمْ تَكُنْ بالعِزِّ تلكَ المكاسِبُ
ولا السَّيْدُ القمقامُ عندي بسيِّدٍ إذا استنزلتْهُ عن علاهُ الرَّغائِبُ

ولكن هذه العزة لا تعني التكبر بل إنه يفخر بتواضعه مع وجود دافع التكبر[(٢)] :

ولا راحَ يطغيني بأثوابِه الغنى ولا باتَ يَثْنِيني عن الكرمِ الفَقْرُ

ويذم البغي في معرض حديثه عن جيوش الروم المغيرة وينسج في الشطر الثاني حكمته[(٣)] :

البغيُ أكثرُ ماثِقلٌ خيولُهم والبغيُ شَرٌّ مُصَاحِبِ الإنسانِ

ويرى أن كمال الشخصية عند المرء بأن يكون لديه عقل الكهول وشجاعة الشباب[(٤)]

ولا أرضى الفتى ما لم يُكَمِّل برأيِ الكَهْلِ إقدامَ الغُلامِ

ويصوغ الحكمة الذائعة : (الصبر مفتاح الفرج) في بيت يرسله إلى أمَّه[(٥)] :

فيا أمتا لا تعدمي الصَّبْرَ إنَّه إلى الخيرِ والنْجحِ القريبِ رسولُ

---

(١) الديوان : ٣٣/٢ .
(٢) الديوان : ٢١٢/٢ .
(٣) الديوان : ٤١١/٢ .
(٤) الديوان : ٣٧٣/٣ .
(٥) الديوان : ٣١٦/٢ .

وحين نقترب من أسره نحس بآلامه المبرحة التي أحالت اللحظة عنده سنة(١) :

تطول بي السَّاعاتُ وهـي قـصيرةٌ   وفي كلِّ دَهْـرٍ لايَـسُرُّكَ طـول

وفي قصيدته إلى أخيه يدبج حكمةً رائعةً تجري على كل لسان(٢) :

ومن مذهبي حُبُّ الـدِّيارِ لأهلـها   وللنَّاسِ فيمـا يعـشقونَ مـذاهِبُ

وعن تجربة عميقة يضع أبو فراس أساساً لمعاملة الصديق الذي سئم مجالسة صديقه(٣) :

إذا الخِـلُّ لم يَهْجُـرْكَ إلا مَلاَلـةً   فلـيسَ لَـهُ إلاَّ الفِـرَاقَ عِتَـابُ

ومن ثقافته الإسلامية التي تعمقت في نفسه يقرر أبو فراس أن المرء إذا اتكل على غير الله ، فإنه يصبح مرمى لسهام الخطوب والمحن من حيث يظن الخير والمنفعة(٤) :

إذا كـانَ غـيرُ اللهِ للمـرءِ عُـدَةً   أَتَتْهُ الرَّزايا مـن وجـوهِ الفوائـدِ

وقد شاعت فكرة القضاء والقدر في شعره وصاغ فيها حكمه ومنها قوله(٥) :

ولكنْ إذا حُمَّ القَضَاءُ على امـرئ   فليسَ لـه بَـرٌّ يقيـهِ ولابَحْـرُ

---

(١) الديوان : ٣١٤/٢ .
(٢) الديوان : ٣٠/٢ .
(٣) الديوان : ٢٢/٢ .
(٤) الديوان : ٨٣/٢ .
(٥) الديوان : ٢٠٩/٢ .

ومن حكمه في الدهر[١] :

وما هـذه الأيَّـامُ إلا صَـحَائِفٌ   لأحْرُفِها من كَـفِّ كاتِبِها بَـشْرُ

سمات حكمته :

- يلاحظ على أبيات الحكمة أنها جاءت متناثرة في رومياته وليس لها قصيدة خاصة بها ، أو تغلب عليها ، وذلك لأن أبا فراس لا يعد نفسه حكيماً بل هو يسجل نتائج تجاربه في الحياة في بيت أو شطر بيت ليس إلا .

- ويلاحظ كذلك أنها جاءت معبرة عن نفسيته وظروفه وبرئت من التصنع .

- عبرت هذه الحكم عن المشاعر الإنسانية العامة ولذلك كتب لها الخلود و لم تنحصر في شخصية الشاعر .

- اتسمت بعض حكمه بطابع الفخر وبخاصة إذا تحدث عن مكانته في قومه الذين تناسوه وتنكروا له[٢] .

٨- الهِجَاء :

يعد هذا الغرض أقل أغراض شعر أبي فراس قبل أسره وبعده ؛ فقد ابتعد الشاعر عن هذا الفن ، إلا ما ألجأته إليه الظروف ، وقد يلمح القارئ في شعره هجاء عاماً غير أنه قليل ومنه قوله[٣] :

---

(١) الديوان : ٢٠٩/٢ ، ومعنى بَشْرُ : محو .

(٢) انظر حياته وشعره : ٣٢٥ .

(٣) الديوان : ٢٣/٢ .

إلى اللهِ أشكو أنَّنـا بمنـازلٍ ... تَحَكَّمُ في آسادِهِنَّ كِـلاَبُ

ويمكن حصر الهجاء - فيما يبدو لي - في الروميات في المناظرتين اللتين وقعتا بين أبي فراس والدمستق ؛ إحداهما في الدين ، والثانية في ممارسة الحروب .

ففي الأولى افتخر عليه ، وسخر منه ، وتعجب من حاله كيف يسمح لنفسه أن يعلمه الحلال من الحرام وهو العلج ، وقد أحاط نفسه ببطارقة رسم لهم أبو فراس صوراً (كريكاتورية) مضحكة قربتهم من عالم الحيوان يقول(١) :

تـأمَّلني الدِّمَـستَقُ إذ رآني ... فأبصرَ صِيغَةَ اللَّيـث الهُمَـامِ
أتُنكرني كأنَّكَ لستَ تـدري ... بـأنيَ ذلـكَ البَطَـلُ المحـامي
وأنّيَ إذ نزلتُ علـى دُلُـوك ... تركتُكَ غَيْرَ مُتَّـصِلِ النِّظـامِ
فلا هُنِّئْتَهـا نُعمـى بأسـري ... ولا وُصِلَتْ سُـعُودُك بالتَّمـامِ
أما من أعْجَبِ الأشياء عِلْـجٌ ... يُعَرِّفُني الحـلالَ مـن الحـرامِ
وتَكْنُفُـهُ بَطَارِقَـةٌ تُيُـوسٌ ... تُبـاري بالعَثَـانينِ الـضِّخَامِ
إذا عـاينتَهُمْ وَهُـمُ جميـعٌ ... رأيتَ لهـم قـراطيسَ اللِّئـامِ
لهم خُلُقُ الحَمير فلستَ تلقـى ... فتىً منهم يـسيرُ بـلا حِـزَامِ
يُريغُونَ العيـوبَ وأعجـزهُم ... وأيُّ العيبِ يوجدُ في الحُـسَامِ (٢)
وأصعَبُ خُطَّةٍ وأجَـلّ أمـرٍ ... مجالسةُ اللئـامِ علـى الكـرامِ

---

(١) الديوان : ٣/٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٢) يريغون : يسعون طالبين

" وأحفظ[١] أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام "[٢] ؟ ثم قال[٣] :

أتــزعُمُ ياضــخم اللَّغَادِيــدِ أَنَّنَــا ... ونحنُ أسودُ الحرب لا نعرفُ الحَرْبَــا
أتوعدُنا بالحرب حــتى كأنَّنــا ... وإيَّاك لم يُعْصَبْ بها قلبُنــا عــصبا
لقد جمعتنا الحربُ من قبــلِ هــذه ... فكنَّا بها أُسْداً وكنــتَ بهــا كَلْبَــا

ثم راح يذكره بأبطال الروم الذين جندلتهمْ سيوف سيف الدولة ثم قال[٤] :

بأقلامنــا أجحــرتَ أم بــسيوفنا ... وأسدَ الشَّرى قدنا إليك أم الكُتْبَــا
تفاخرُنا بالطَّعن والضرب في الــوغى ... لقد أوسَعَتْكَ النَّفسُ يابن استها كذبا
وجدتُ أبــاكَ العِلْــجَ لمــا خَبِرْتُــه ... أقلَّكُــمُ خــيراً وأكثــرَكُمْ عُجْبَــا

ويعلل د.نصرت عبدالرحمن إقامة مثل هذه المناظرات مع أبي فراس بأن الروم كانوا يعدُّون أبا فراس " ليكون صنيعة لهم بعد موت سيف الدولة الذي كان مريضاً بالفالج ، موفياً على الموت ، ولاشك أن خؤولته فيهم قد شجعتهم على ذلك وقد أشار أبو فراس إلى هذه الخطة في قوله : " إذا خفت من أخوالي الروم خطة "[٥] وتعرض

---

(١) أي: أثار حفيظته وأغضبه .
(٢) اليتيمة : ١/١٠٦ .
(٣) الديوان : ٢/٣٦ .
(٤) الديوان : ٢/٣٧ – ٣٨ .
(٥) الديوان : ٢/٢٤٧ .

لضغط نفسي عنيف ، فهو يكرم ويضيق عليه في آن واحد ، وهو يتعرض لحملات التشكيك في دينه "[١] كما رأينا في الأبيات الميمية .

سمات هجائه :

- يلاحظ قلة هجائه ولاشك أن هذا دليل على نبل الشاعر وترفعه عن السباب .
- المواقف التي اضطرته إلى الهجاء دعته ليمزج هجاءه بالفخر .
- اتخذ هجاؤه طابع الدفاع عن الدين والوطن لأنه صودم فيهما .
- استخدم التصوير الكريكاتوري المضحك لرسم شخصيات من يهجوهم .

(١) شعر الصراع مع الروم ٢٨٢ .

ثانياً : الدراسة الفنية

أ - في المضمون :

١ - بناء القصيدة .

٢ - الصدق الفني .

٣ - الوحدة الشعورية .

٤ - الأصالة .

٥ - المعاني الإسلامية والأمثلة التاريخية .

ب - في الشكل :

١ - الأسلوب .

٢ - اللغة البديعية .

٣ - الصور والأخيلة .

٤ - الإيقاع .

أ- في المضمون

١- بناء القصيدة :

نهج أبو فراس في بناء رومياته نهج القصيدة العربية إلى حد كبير ، فجاء متعدد الأغراض كما كانت القصيدة العربية ، غير أن له روميات أخرى ذات غرض واحد ، وأبو فراس لايتكلف أسلوباً معيناً موحداً في بناء قصيدته ، بل بحسب الغرض والحالة الشعورية اللذين يتحكمان عادة في طريقة تناول الموضوع .

في قصيدة أرسلها الشاعر إلى سيف الدولة يعرفه بخروج الدمستق إلى الشام ويحرضه على الاستعداد ، نرى أبا فراس يطرق عدداً من الموضوعات ، فقد بدأ بالمقدمة الغزلية ، ثم تشوق إلى أحبابه في الشام ورثى للعاشقين ، ثم فخر بنفسه ، ومدح سيف الدولة ، وذكر موقفه من الأصحاب واستثنى سيف الدولة من بينهم ، ثم دخل الموضوع الذي أنشأ من أجله الرومية : وهو إخبار سيف الدولة بجيش الروم الغازي ، وأخذ يقدم لهم النصائح ويذكرهم بالتاريخ ثم ختم قصيدته بالدعاء لسيف الدولة بالنصر والغلبة[١] وفي بعض رومياته نلمس وحدة الغرض وإن تباينت دلالات الأبيات المباشرة إلا أنها تصب في غرض واحد ، ومن ذلك قصيدته التي ساقها عتاباً لسيف الدولة فقد دخل الموضوع مباشرة وبدون مقدمة غزلية ، واستحالت أبيات الشكوى والمديح والفخر أنهاراً تصب في بحر واحد ، وهو غرض العتاب ومطلع القصيدة[٢] :

زماني كُلُّه غَضَبٌ وعَتْبُ ... وأنْتَ عليَّ والأيَّامُ إلبُ

---

(١) الديوان : ٤٠٧/٣ .

(٢) الديوان :٢٨/٢ .

وقد يقصد غرضاً بعينه لايتعداه ويكون ذلك – غالباً – في المقطعات حيث يعالج في المقطعة موضوعه مباشرة وبصورة موجزة لايتشتت به المقال ، ومن ذلك مناجاته للحمامة التي أوردها من قبل[1] ولابد أن أشير إلى ظاهرة واضحة في رومياته هي تناثر أبياته في القصيدة الواحدة وعدم ترتيبها بحسب الغرض ، أي أنه لايعالج غرضاً معيناً ثم ينتقل إلى غيره فيخلص له بل نراه يفخر بنفسه ثم يدخل في غرض المديح فيمدح سيف الدولة ثم يعود إلى فخره بنفسه ، ثم يشكو ثم يعتب ثم يعود إلى المدح وهكذا ...

وهذا يعد اضطراباً في بناء القصيدة ، ولعل السبب أن هذه الروميات ومضات شعورية ، تنطلق من أبي فراس لايرتبها في ذهنه ، ولايحاول سبكها في نظام معين ، بل إنني أستطيع أن أقول : إنه لايخطط لرومياته التي تأتي بهذه الصورة ، بل يعتمد في نسجها على توارد الخواطر وتداعي المعاني ، ولم تسلم من هذا قصائده الطويلة إلا النادر ومنها رائيته الشهيرة ، حيث بدأها بالغزل ثم خلص إلى الفخر إلى نهاية القصيدة.

ولايعني هذا أن نصل إلى القول بأن أبا فراس يرتجل رومياته بل نقول : إنه لايحاول أن يتصنع منهجاً معيناً في بنائه لقصيدته ، وإلا فلو كان يرتجل هذه الروميات لما خرجت بهذا المستوى الرفيع من الأداء الفني الرائع ، بل ستخرج هزيلة ضعيفة ساذجة ليس فيها عمق أو نضج .

وقد نَمَّتْ طريقته في تناول موضوعاته عن طبع يدل على موهبة الشاعر في هذا الفن الرفيع ، فرومياته تفيض عنه كما يفيض الماء عن الينبوع فلا تكلف ولا استدعاء للمعاني من بعيد ، وكثيراً مايقصد مراده مباشرة دون التواء أو تعقيد .

---

(١) الديوان : ٣/٣٢٥ .

وبدأ أبو فراس بعض قصائده بمقدمات غزلية نهج فيها نهج الأقدمين من وقوف على الأطلال وذكر المحبوبة الراحلة ومناجاة الراكبين كما مرّ في غرض الغزل ، وكيف كان يحسن التخلص من الغزل إلى الغرض الأساس ، ويجتهد أن يجعل المقدمة مناسبة للغرض .

واتضح كذلك من خلال التوثيق أن الروميات جاءت على قسمين من حيث عدد الأبيات ، فمنها نحو خمس وعشرين قصيدة ، ونحو ثلاث وعشرين مقطعة ، وهذا يعني تقارب العدد بين المقطعات والقصائد ، وكثرة المقطعات ظاهرة تستحق التأمل ، يذكر بعض الكتّاب أن انتشار المقطوعات بشكل بارز كان مع بداية العصر العباسي حيث نظم الشعراء أغراضهم ومعانيهم على شكل مقطوعات تدور كل واحدة منها حول فكرة واحدة ، ولعل هذا سبب من الأسباب التي تؤدي إلى الإكثار من نظم المقطوعات، بالإضافة إلى ازدهار الغناء في العصر العباسي "[١] .

أضف إلى ذلك عند أبي فراس على وجه الخصوص ؛ أنه في أسره تمر به أحداث متباينة ، وحالات نفسية متقلبة نتيجة لوطأة الأسر وكثرة الأخبار الواردة من بلاده فتراه يتجاوب مع كل حدث بما يناسبه ويدفعه هذا إلى التعبير عنه بأبيات موجزة من الشعر لاتنمو حتى تصبح قصيدة ، ومما لاشك فيه أن المناسبة والظروف التي تكتنف الشاعر لها أكبر الأثر في بناء القصيدة .

ولايعني هذا أن نتهم أبا فراس بقصر النفس الشعري في رومياته ، فقد بلغ بعضها أكثر من خمسين بيتاً وبعضها جاوز الستين بيتاً مثل قصيدته[٢] :

أبيــت كــأني للــصبابةِ صــاحِبُ ... وللنَّومِ مُذْ بَانَ الخلــيطُ مُجَانِــبُ

---

(١) الشعر في ظل سيف الدولة : ٢٥٧ .

(٢) الديوان : ٢/٣٠ .

ولكنه لايستدعي الشعر ، بل يقف حين يقف نزيف قلبه ، ولعل هذا من أسباب رقي هذه الروميات وسر تأثيرها في النفوس ، لما فيها من عفوية وبعد عن التكلف والتصنع ، والرغبة في الاستمرارية والإطالة .

٢- الصدق الفني :

عبر أبو فراس في رومياته عن تجارب شعورية حقيقية مرت به أثناء أسره ، ونكاد نعرف مناسبة كل رومية من خلال قراءتها .

وكأني بالحدث يمر بأبي فراس فيشعل في فؤاده جذوة تتضرم بالعديد من المشاعر المائجة ، وتبقى في قلبه تتوهج في دمه حتى يحين صهرها في شكل قصيدة أو مقطوعة تحمل كل تلك المشاعر ولاتغادر منها شيئا .

جاءت روميات أبي فراس لتصور نفسه كما أحسها هو فـ " نقل إلينا في شعره خلجاته ومشاعره ، وأحاسيسه ، ومواقفه ، واضحة كل الوضوح وقد تبدو تلك المشاعر والمواقف متناقضة ، لأن أبا فراس قد يعبر عن نفسه في آن تعبيراً يختلف عنه في آن آخر ، ولايعد ذلك بحال من الأحوال تناقضاً في تصوير تلك المواقف مثل الاعتزاز والافتخار آناً ، والضعف والشعور بذل الأسر آناً آخر "[(١)] لأنه يصور واقعه كما كان في تلك اللحظة .

(١) حياته وشعره : ٣٢٩ .

"وعالج أبو فراس نوعاً من الشعر الوجداني في تحليله لنفسيته بمشاعرها وأحاسيسها المختلفة من آمال كانت تراودها ، وواقع اصطدمت به بعد أن وقع الشاعر أسيراً ، فكان حديثه في هذا المجال خارجاً من نفسه وعائداً إليها (فهو حديث النفس للنفس)[(١)] وهو يمثل مايمر بالنفس الإنسانية من صور وأطياف وقوة وضعف وابتهاج وابتئاس ، وقوة ولين ، وما إلى ذلك "[(٢)].

وقد أدى هذا التصوير لحاله في أسره بصدق تام إلى نمو هذه التجارب عند أبي فراس حتى انطلق إلى مشاركة غيره من المحزونين فأصبح لسانهم الناطق بآلامهم وأحزانهم وتجاربهم القاسية التي يمرون بها[(٣)] :

وتُحِبُّ نفسي العاشقينَ لأنهم ... مثلي على كَنَفٍ من الأحزانِ
فَضُلَتْ لَدَيَّ مدامعٌ فبكيتُ للـ ... ـباكي بها وولهتُ للولهانِ

ولكن في الغالب نحس هذه المشاعر العامة وإن لم يصرح بها الشاعر وقد افتقد بعض النقاد انطلاق أبي فراس من نفسه إلى الإنسانية في بعض رومياته فقال تعليقاً على الرائية : " ومهما يكن من أمر هذه القصيدة فإن الشاعر فيها يبدو محتفظاً بشدة الانفعال ، وشدة الإخلاص ، لكنه يفتقر إلى الثقافة الفنية وشمولية النظرة الإنسانية اللتين تخرجان بشعره من دائرة الخصوصيات إلى دائرة العموميات ، فيبدو رمزاً للمعاناة الإنسانية ، والشقاء البشري ، ومعلوم أن الصدق والانفعال عنصران مهمان في التجربة

---

(١) الموازنة بين الشعراء : ٣١١ .

(٢) حياته وشعره : ٣٢٩ .

(٣) الديوان : ٣/٤٠ .

الشعرية ، لكنهما غير كافيين للتجربة الفنية الخالدة ، بل ينبغي للشعراء أن يتسلحوا بالثقافة الشاملة ليمازجوا أحاسيسهم بها ، فيتمكنوا من النفاذ إلى أبعاد نفسية عميقة لا قِبَلَ للانفعال السريع الحاد بالولوج إليها رغم حرارته وصدقه "(١) وقد اتسمت روميات أبي فراس بالصدق في العاطفة ؛ لأنه لايفتعل تجربته ولاينشيء قصيدة لم تنبعث من عاطفة مشبوبة ، فهو : " كلما عرضت له حادثة أوحل به أمر سارع إلى الشعر أو سارع إليه الشعر ، فانطلق لسانه في أبيات هي قطعة من نفسه وصورة من حسه ، ولايتعمل فيها، ولايتكلف ، فليس له وراء القول غرض ، ولايرجو وراء الشعر حاجة "(٢)

وقد أدت غلبة الصدق الواقعي على روميات أبي فراس إلى اتهامه فيها بفقد الصدق الفني ؛ يقول د.محمد الصادق عفيفي معلقاً على أبيات من الروميات : " إن الأبيات تفيض بالآلام وتشي بعمق المعاناة ، فيبدو لنا الشاعر شديد الصدق عميق العاطفة ، ولكن إذا فتشنا عن الجانب الفني ، عن الصورة ، عن الخيال وجدناه باهتاً ، لأن الصدق الواقعي لم يولد الصدق الفني ، لأن الشاعر سرعان مايقذف بالتجربة لينفس عن كبده المقروحة ، حيث لم يتوافر له الحدس المثقف الذي يمد أبعاده ويفجر أعماقه ، ويوغل به في ظلمة النفس لتلمس الحقائق القصية "(٣) وإذا كان الصدق الفني قد عرف بأنه (صدق التأثر بالتجربة ، وصدق التأثير في المتلقي) أي القدرة على نقل

(١) أبو فراس فتوة رومانسية : ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) الديوان توطئة المحقق : ١٦ .

(٣) النقد التطبيقي والموازنات: ٣٠٢ .

التجربة إلى الآخرين ، فإن أبا فراس وفي رومياته بالذات قد بلغ قمة الصدق الفني ، فأي تجربة لم ينفعل بها ؟ وأي رومية لانتأثر بها نحن .

إن الصدق الواقعي عند أبي فراس قد ولد الصدق الفني ، وإن قلت الصور أو تضاءل الخيال .. فأساليب التأثير متنوعة ولاتنحصر فيهما .

لقد عبر أبو فراس صادقاً في جميع أغراضه الشعرية ، ويتضح هذا الحكم من خلال قراءة متأنية لأية رومية حيث تشف لقارئها عن روح أبي فراس تمتزج بأبياتها :

لتقرأ مراثيه لتجد اللوعة والحرقة اللتين تكادان تخترمان قلب شاعرنا وهو يتوجع وينشج و لم لايكون صادقاً في مراثيه ؟ ومارثى إلا أقرب أقربائه وأحبابه ..

ولتقرأ شكواه لتتألم معه وتشكو من شكواه وتحس أن كلماته تصدر من قلبه إلى قلبك .

ولتقرأ المديح لينسيك صور التملق والتزلف إلى الحكام لاستجداء المال ، وتقف على مديح ينطلق من صدق عاطفة ، وحب وإكبار للمدوح ، دون تزييف أو تذلل .

وذاك العتاب الذي يرق ويشتد بحسب عواطف الشاعر دون تعمد لرقة أو شدة ، وهل يمكن أن يظهر الشدة في العتاب شاعر يريد مافي يدي معاتبه أو يخافه ، إلا أن يكون مندفعاً من عواطف لم يقف دونها ؟

وحين يفخر فإنه لايبالغ حتى يخرج عن الواقع بل إنه يحكي ماوهبه الله من مواهب كثيرة من فروسية وشاعرية وإمارة .

وتلك الإخوانيات العذبة التي تفيض بمشاعر الحب والتقدير والشوق إلى أهله وأصحابه المخلصين .

وحتى غرض الحكمة لم يخل من صدق ؛ لأن حكمه تنطلق من تجاربه الخاصة لم تتعداها قيد أنملة ؛ مما يدل على عدم تعمده أن يشحن قصائده بالحكم .

ولم يَهْجُ في رومياته إلا من يستحق الهجاء مدفوعاً من غيرته على دينه وقومه .

٣- الوحدة الشعورية :

تبين من خلال دراسة التجربة الشعرية عند أبي فراس وبناء القصيدة أن الروميات جاءت على نوعين ؛ فمنها ما اتضحت فيه الوحدة الموضوعية المتسقة مع الوحدة الشعورية مما تكثر في المقطعات وتقل في القصائد ، ومنها ما يظهر عليه أنه عبارة عن خواطر مبعثرة لاينظمها سلك موضوعي موحد وهو قليل في الروميات وهذا القليل يرتبط بالهدف العام من القصيدة .

ولكن برغم وجود التفكك الظاهر في بعض القصائد فـ " إن عدداً من قصائد أبي فراس ومقطوعاته تتحدث غالباً عن تجربة شعورية واحدة ، لا اضطراب فيها ولاتشويش ، وتتضافر الأبيات على توضيح هذه التجربة ونقلها إلى القارئ مرتبة كما أحس بها منشئها ، فقصائده ذات وحدة لايستطرد فيها ، ولايولد معنى من آخر ، ويطيل إذا كانت التجربة لديه متشعبة النواحي كثيرة الأجزاء ويقتصر على بيتين أحياناً لنقل ماأحس به "(١) والخيط الرفيع الذي يصل بين أبيات أبي فراس في رومياته هو شعوره بالحزن والألم والحرمان ؛ لذا فإنه إن شكا وفخر وعتب في آن واحد ، فإن

---

(١) شاعر بني حمدان : ٨٥ .

الباعث الشعوري موحد فيها جميعاً ؛ فهو يشكو ليعبر عن حزنه وألمه لحرمانه من حريته المفقودة ، ويفخر لينفس عن نفسه المكروبة ويعوضها شيئا ما مما حُرمته في هذا الأسر ، ويعتب ويثور على من بيده فكاك أسره ثم يقصر في جانبه .

وكما رأينا من قبل أن بدأه بالغزل أحياناً لم يؤثر على الوحدة الشعورية العامة إذ ينطلق من روح الغرض المراد وينطبع بكل مشاعره .

ولن يضير الروميات فقدان الوحدة العضوية منها – فتلك سمة الشعر العربي القديم – أمام توافر الوحدة النفسية الشعورية ، وبخاصة في الظروف التي قيلت فيها هذه الروميات ، وما تثيره من مشاعر تلتمس الخروج فور غليانها في قلب الشاعر ، فهي أشبه بومضات شعورية لايمكن إخضاعها لترتيب أو تنسيق – كما يريده المحدثون – في تلك الظروف الخاصة ، بغير الترتيب الذي انقدحت به في قلب منشئها .

❋❋❋❋❋

٤– الأصالة :

إن كان ثمة دليل على أصالة أبي فراس من شعره كله ، فليس كمثل رومياته التي عبر فيها كل بيت منها عن روحه وخواطره وأسلوبه ، حتى إن القارئ ليستطيع أن يصور نفسيته وشخصيته من خلالها .

وتبدو أصالته في المضمون بما توافر فيه من الصدق الفني الذي أحسسنا منه تأثر الشاعر بتجربته ، كما أحسسنا تأثيره فينا .

كما تبدو من طبع الشاعر وعفويته ، وعدم تلمسه الغريب أو الخيال البعيد أو الصور المعقدة إن لم تواته ، مما يدل على تفرده في صياغته الشعرية ، ومحافظته على

طابعه الشخصي ، مع وجود كثير من الشعراء في عهده ، وقد برعوا في نسج الصور البيانية الدالة على عبقريات فنية ، تجيد رسم الصورة ، وبعث الحياة فيها كالمتنبي وغيره .. فإن هذه المعاصرة لم تُغْزِه أن يترك أصالته وطبعه ويلهث وراء هؤلاء – الذين اتخذوا من الشعر حرفة للكسب المادي – ويباريهم في صور متكلفة .

وبرزت أصالته أيضاً في الأغراض الشعرية التي برع فيها من غير أن يتأثر بأحد قبله، بل إنه أحرز فيها قصب السبق وطورها ، كالشكوى والإخوانيات .

وسوف نرى شيئاً من عوامل الأصالة في خصائص الأسلوب الذي جمع بين الجزالة والوضوح ودقة دلالة الألفاظ على المعاني وجمال التعبير ، والاهتمام ببعض الأساليب كالتكرار والحوار والاستفهام وغيرها .

وكذلك في بعده عن الصنعة البديعية إلا حين تخدم المعنى ، فهذه سمة سنتبينها في موضعها، وأسجلها هنا ميزة لأبي فراس في عصرٍ أسرف فيه شعراؤه في التصنع البديعي.

وقد طبعت الروميات بطابع خاص جعلها مميزة في الشعر العربي كله فإنك لاتكاد تقرأ أبياتاً منها إلا عرفتها قبل أن تُعَرَّف على قائلها لميزاتها الخاصة بها ، وظهور شخصية قائلها فيها .

٥- المعاني الإسلامية والأمثلة التاريخية :

هناك ظاهرتان في روميات أبي فراس تستحقان الالتفات والاهتمام ؛ وذلك لشيوعهما من جانب ، ودلالتهما من جانب آخر ، الأولى منهما : دوران المعاني الإسلامية في الموضوعات التي طرقها الشاعر . والأخرى : كثرة استشهاد الشاعر بحوادث التاريخ الغابرة .

أولاً : المعاني الإسلامية :

لقد صاغ الشاعر عدداً من المعاني الإسلامية التي تربى عليها وآمن بها ، ومن أوضحها عنده : (قضية : القضاء والقدر) حيث ذكرها ورددها في كثير من أبياته ومن ذلك – غير مامر بنا – قوله[١] :

وهل يَدْفَعُ الإنسانُ ماهو واقِـــعٌ ؟ وهل يَعْلَمُ الإنسانُ ماهو كَاســـبُ ؟
وهل لقضاءِ اللهِ في النَّاسِ غالِـــبٌ ؟ وهل من قضاءِ اللهِ في النَّاسِ هَارِبُ ؟

وفي موضع آخر يستسلم للقدر فيما حدث له ويكل كل ماجرى له إليه[٢] :

كانَ القضاءُ فلمْ تكنْ لِـــي حِيْلَـــةٌ غَلَبَ القضاءُ شـــجاعةَ الـــشُّجْعَانِ

ومثله قوله لأمه[٣] :

---

(١) الديوان : ٢/٣١ – ٣٢ .
(٢) الديوان : ٣/٤٠٩ .
(٣) الديوان : ٣/ ٤٣٤ .

لكــن قــضاءُ اللهِ والــــ ــــأحكــامُ تَنْفُــذُ في البَرِيَّــه

ومن المعاني الإسلامية التي تدور على ألسنة المسلمين حين يفقدون أعزَّ الأشياء قولهم : " أخذ الله بعض ما أعطانا فالحمد لله معطياً وآخذاً " .

ويصوغ أبو فراس هذا المعنى في بيته الجميل[١] :

مالي جَزِعْتُ من الخُطُوبِ وإنَّمـا أخــذَ المُهَــيْمِنُ بعــضَ ماأعطــاني

والمؤمن إذا صبر على مصابه محتسباً الأجر فاز به ، وإذا جزع خسره[٢] :

فيا أُمَّتَا لاتُخْطئـــي الأجْــرَ إنَّــهُ على قَدَرِ الصَّبرِ الجميــلِ جَزِيــلُ

ويستشعر أبو فراس عظمة الله وقدرته التي لايقف دونها مانع فيرفع دعاءً مصحوباً بتذكر نعمة الله عليه فيقول[٣] :

عسى اللهُ أن يــأتي بخــيرٍ فــإنَّ لي عوائدَ مــن نَعْمــاهُ غَــيرُ بوائِــدِ
فَكمْ شالني من قَعْرِ ظلماءَ لم يكــنْ لينقذَني من قَعْرِها حــشدُ حاشــدِ

وتكثر معانيه الإسلامية في قصائده إلى أمه ففي إحداها يقول[٤] :

فيها التُّقى والدِّينَ مجـــ ــموعانِ في نَفْسٍ زكيَّــه

(١) الديوان : ٣/٤٠٨ .
(٢) الديوان : ٢/ ٣١٦ .
(٣) الديوان : ٢/٨٤ .
(٤) الديوان : ٣/٤٣٤ – ٤٣٥ .

يـــا أُمَّتـــا لاتحـــزني وثقـــي بفـــضلِ اللهِ فيّـــه
يـــا أُمَّتَـــا لاتيأســـي للهِ ألطَـــافٌ خَفيَّـــه
كَمْ حـــادث عنَّـــا جـــلا هُ وكمْ كفانـــا مـــن بَليَّـــه
أُوصيْكِ بالصَّبْرِ الجميـــلِ فإنَّه خَيْـــرُ الوَصِـــيَّه

ويبدو أن أمه كانت ديّنةً ذات عبادة، لعل هذا هو السبب في توارد المعاني الإسلامية في القصائد الخاصة بها ، ولعل ذلك أيضاً يكشف عن منبع ثقافته الدينية وأنها مرتبطة بتربيته الأولى يستشعرها كلما ذكر أمه ، وقد بدا هذا واضحاً في رثائه لها حيث عدد عبادتها وصدقاتها وغير ذلك من الأعمال الصالحة ، وتحسر على فقد دعائها[(١)] :

إذا ابنُك سارَ في بَرٍّ وبحـــرٍ فمن يدعو لـــه أو يستجيرُ

وصاغ الآية القرآنية : ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون﴾[(٢)] في حضور الملائكة عند نزع المؤمن ، فقال[(٣)] :

وغابَ حبيبُ قلبِكَ عن مكـــانٍ ملائِكَةُ الـــسَّماءِ بـــه حُـــضُورُ

وفي موقف آخر يشير إلى وجوب الغضب لدين الله في قتال الكفار ويذكر الوحي والقرآن[(٤)] :

(١) الديوان : ٢١٧/٢ .
(٢) سورة الواقعة : ٨٥ .
(٣) الديوان : ٢١٧/٢ .
(٤) الديوان : ٤١١/٣ .

غضباً لدينِ اللهِ ألا تغضبوا لم يشتهر في نَصْرِه سيفان
حتى كَأَنَّ الوَحْيَ فيكُمْ مُنْزَلٌ ولَكُمْ تُخَصُ فضائِلُ القرآنِ

وهذه المعاني تشي بثقافة إسلامية واسعة واستحضار لمعانٍ هي أقرب للمكروبين حينما تضيق عليهم الأرض بما رحبت فيجدون في لجوئهم إلى الله راحة وأية راحة ومامر إنما هو أمثلة لكثير من المعاني المبثوثة في الروميات .

ثانياً : الأمثلة التاريخية :

أما الظاهرة الأخرى في المضمون : فهي انتشار الأخبار التاريخية والأعلام ، وكانت تأتي في الغالب دليلاً على رأي الشاعر ، ومايقرره في قصائده من أحكام .

وقد شملت هذه الأخبار أخبار الجاهلية والإسلام وقليلاً من أخبار عصر الشاعر وتأتي مختصرة معبرة في إيجازها عن التفاصيل الكثيرة ، لأنه ليس مؤرخاً بل هو شاعر يستجلي صفحات التاريخ وينتقي منها مايلائم موقفه ويدعم رأيه .

والأمثلة على هذا كثيرة جداً ، تدل على اطلاع واسع للشاعر على التاريخ العربي في جميع عصوره ، كما تدل على قدرة في ربط الأحداث ، واستخلاص العبر من قصص من سلف ، وكأنه يرشدنا إلى الإفادة من كل مانعرفه من تاريخنا لنربطه بحياتنا الحاضرة ؛ فيكون لنا خير دليل وناصح .

ربما يذكر أبو فراس أمراً يشك في اقتناعنا به فيهرع إلى التاريخ ويستخرج منه الدليل والبرهان على مايقول ؛ لقد ذكر أن أمه علمت أن موته سيكون بحد سيف أو قضيب ، وذكرنا بقصة عجيبة وقعت لأم شبيب الخارجي المشهور مع ولدها حيث " رأت في منامها – وهي حبلى – كأن ناراً أخرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ، ثم

وقعت في الماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ماكان ونعي إليها لم تصدق حتى قيل : إنه غرق في الماء ، فأقامت المناحة "[١] يقول أبو فراس[٢] :

وقد علمــت أُمِّــي بــأنَّ منــيَتي ... بحــدِّ حُــسَامٍ أو بحــدِّ قَــضِيْبِ
كما عَلِمَتْ من قبلِ أن يَغرَقَ ابنُهــا ... بِمهْلَكــهِ في المــاءِ أُمُّ شــبيبِ

وفي رسالة إلى أمه ، يذكرها بأمثلة من التاريخ على صبر النساء على فقد أقربائهن، ومن أروع قصص التاريخ في هذا المجال : قصة ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – ، مع ابنها عبدالله بن الزبير – رضي الله عنهما – حين جاء الحجاج مكة وحاصرها وأراد قتل ابن الزبير ، فذهب إلى أمه وهو متردد في أمره ، وأخبرها بأن الحجاج إن قتله صلبه ومثل به ، وقد أعطاه الأمان إن أراد ، فقالت له : ألست على الحق ، قال بلى قالت : فاذهب فإن الشاة لايضرها السلخ بعد الذبح ، وصَبَرتَ على قتله وصلبه صبر الرجال "[٣] :

أمالكِ في ذاتِ النِّطــاقين أُسْــوَةٌ ... بمكةَ والحَــرْبُ العَــوَانُ تَجُــولُ
أرادَ ابنُها أخذَ الأمانِ فلم تُجِــبْ ... وتَعْلَــمُ علمــاً أنَّــه لَقَتِيْــلُ
تَأسَّــيْ كَفَــاكِ اللهُ ماتحذرينــه ... فقد غَالَ هذا النَّاسَ قبلَكِ غــولُ[٤]

وبيته الأخير يكشف غرضه في جميع ما أورده من مواقف تاريخية .

---

(١) اليتيمة : ١/١٠٥ .
(٢) الديوان : ٢/٣٥ .
(٣) الخبر بكامله في الكامل لابن الأثير : ٤/٣٥٢ – ٣٥٣ .
(٤) الديوان : ٢/٣١٦ .

وفي روميته النُّونيَّة التي بعث بها إلى سيف الدولة يخبره بخروج الدمستق إليه ، ضرب لهم عدداً من الأمثلة التاريخية التي تُحَمِّسُهم وتثير في نفوسهم الغضب على الروم حتى ينفجروا عليهم كالبركان يقول(١) :

قد أغضبُوكمْ فاغضبوا وتأهَّبوا ... للحَربِ أُهْبَةَ ثائرٍ غَضْبَانِ
فـ (بنو كلابٍ) وهي قُلٌّ أُغْضِبَتْ ... فدَهَتْ قبائلَ (مُسْهِرِ بنِ قَنَانِ)

قال ابن خالويه في شرح البيت : " لما قتل (عامرُ بن الطُّفيل) (ابن خوّات) شردت (بنو جعفر بن كلاب) وطال جوارها في الحرب ، وانتهى جوارها إلى (بني الحارث بن كعب) فنزلوا بـ (مُسْهِر بن قَنَان) في عام جدب ، فلما تمكن منهم سامهم أن يزوجوا أربعين غلاماً بأربعين امرأة كلابية، وسأل بعد ذلك (بنو الحارث) لـ (بني كلاب) مثل سؤال (مسهر بن قنان) فهاجت بينهم الحرب ؛ وفقأت (بنو الحارث) عين (ابن الطفيل) وانهزمت (بنو الحارث) ، فذلك يوم من مفاخر (بني كلاب) "(٢).

ومن أمثلته كذلك قوله(٣):

والمُسْلمونَ بشاطيءِ اليرمُوك لـ (م) ـمَّا أُخرِجُوا عطفوا على (باهانِ)

قال ابن خالويه : " لما فتح المسلمون أجناد الشام استنجد ملك الروم ثلاثين ألفاً من أهل (أرمينية) فأنجدوه وأنزل الرهبان ، وتخلفوا عن (حمص) و (دمشق) ثم عطفوا عليهم فقتلوهم جميعاً ، فانتقل ملك الروم من (أنطاكية) إلى (القسطنطينية) "(٤).

---

(١) الديوان : ٤١١/٣ .
(٢) الديوان : ٤١١/٣ .
(٣) الديوان : ٤١٢/٣ .
(٤) الديوان : ٤١٢/٣ .

ويمضي أبو فراس في إشاراته التاريخية ولا أريد أن أمضي معه في شرحها وأكتفي بإيراد بعضها[(١)] :

وحَمَاةُ (هَاشِمَ) حينَ أُخْرِجَ صدرُها ... جَرُّوا البَلاءَ على (بـني مـروانِ)
و (التَّغْلِبِيُّونَ) احتموا عَنْ مثلِها ... فغدَوا على العادينَ بـ (السّلانِ)
وبغى على (عَبْسٍ) (حُذَيْفَةُ) فاشتفتْ ... منْـهُ صَـوارِمُه ومـن (ذُبْيَـانِ)
وسراةُ (بَكْرٍ) بَعْدَ ضيقٍ فَرَّقُوا ... جَمْعَ الأعاجمِ عن (أنُو شَـرْوانِ)
أبقتْ (لبكرٍ) مفخـراً وسَـمَاها ... من دونِ قومِهِما (يزيدَ) و (هاني)
المـانعينَ العـنقفيرَ بطعْـنِهِم ... والثـائرينَ بمقتـلِ (النُّعمـانِ)

وأما عن تاريخ بني حمدان فإنه لم يشر إليه كثيراً ، ولعل السبب في ذلك تخليهم عن نصرته في أسره ، فقد كتب في تاريخهم الكثير قبل أسره ، ولكن حين خذلوه خذلهم ، ولكنه حين ناظر الدمستق ثارت الحمية في نفسه فراح يهجوه ويعدد المواقع التي جندل فيها جنود سيف الدولة أبطال الرومان ومن ذلك قوله :

وويلَكَ من أردى أخاكَ (بمرعشٍ) ... وجَلَّلَ ضرباً وجهَ والدِكَ العَـضْبَا
وويلكَ من خَلَّى ابنَ أختِكَ مُوثَقاً ... وخلاكَ (باللَّقّانِ) تبتدرُ الـشِّعْبَا
فسلْ (بردساً) عنَّا أخاكَ وصِهْرَهُ ... وسَلْ (آلَ بَرْدَالِيْس) أعظمَكُمْ خطباً
وسل ...

وراح يعد قوادِهم في عدد آخر من الأبيات ثم قال[(٢)] :

---

(١) الديوان : ٣/٤١٢ – ٤١٣ .
(٢) الديوان : ٢/٣٦ – ٣٧ .

ألم تُفنِهم قتلاً وأسراً سيوفُنا وأسدُ الشَّرى الملأى وإن جَمَدَتْ رُعْبَا

وكلها إشارات تاريخية تخدم الغرض الأساس من القصيدة .

ب- في الشكل

١- الأسلوب :

لايكاد القارئ البصير لشعر أبي فراس يترنم بقصيدتين أو ثلاث حتى يستطيع الحكم على أسلوبه . هذا الأسلوب الذي يأسر القلوب بسهولته وجزالته ، ورقته وشدته ، يقول الثعالبي : " وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك "[(١)] . وهذه السمات هي التي تطبع شعر أبي فراس على عمومه ، وتختلف قصيدة عن أخرى ، وغرض عن آخر باختلاف الموقف والتأثر به .

---

(١) اليتيمة : ١/٥٧ .

و " أما شعره من ناحيته الفنية فهو واضح قوي منسجم ذو ديباجة ناصعة ومعان هي غالباً مزيج من الابتكار والمحاكاة ، يشعر القاريء له بميل واضح ، ميل إلى سماعه وميل إلى ترديده ، وهذه أهم صفات الشعر الرفيع "(١)

" ويمتاز شعرأبي فراس أيضاً بوحدة النسج غالباً ، فلا تجد فيه بيتاً من حرير وآخر من قنب ، ولكن الجمال موزع هنا وهناك ، لايرتفع محلقاً ، ولاينحط مسفاً ... ومافيه من مظاهر الضعف لاينزل به إلى الحضيض "(٢) وأحاول فيما يأتي أن أتلمس جوانب الروعة والجمال في أسلوبه :

أولاً : الألفاظ والتراكيب :

لأبي فراس " الألفاظ المختارة والتعابير المنتقاة ، والجزالة والشدة والرقة والسهولة "(٣)، وحين نرجع إلى رومياته لنلحظ هذه السمات نجدها قد توزعت على أغراضه بحسب ماتتطلبه سمات الغرض ذاتها :

فحين يفخر فإنه ينزع إلى الفخامة والجزالة الموافقين لروح الفخر وخاصة عند أبي فراس حيث ينقلنا في فخره إلى جو المعارك الحربية التي خاضها ومازالت أبياته في الفخر من قصيدته الرائية تطن في رؤوسنا وقد أرانا فيها الكتائب والدماء(٤) :

وإنِّــي لجــرَّارٌ لكــلِّ كتيبــةٍ — مُعَوَّدَةَ ألا يُخــلَّ بهــا النَّــصْرُ

وإنِّــي لنَــزَّالٌ بِكُــلِّ مَخُوفَــةٍ — كثيرٌ إلى نُزَّالِها النظــرُ الــشَّزْرُ

---

(١) شاعرية أبي فراس : ٢١ .

(٢) أبو فراس – جورج غريب : ٩٤ .

(٣) المرجع السابق : ٩٤.

(٤) الديوان : ٢/٢١٢ .

فأظمأُ حتَّى ترتوي البيضُ والقَنَـا وأسْغَبُ حتى يشبعَ الذئبُ والنَّسْر

فالكلمات الحربية الفخمة تدور في الأبيات لتوحي بالقوة والشدة : جرّار ، نزّال، مخوفة ، ترتوي البيض والقنا ...

وفي أبيات المديح نرى هذه الجزالة أيضاً ومثال ذلك قوله(١) :

إذا كانَ سيفُ الدولةِ المَلْكُ كافلي فلا الحَزْمُ مغلوبٌ ولا الخَصْمُ غالبُ

وقوله(٢) :

وإنَّـــكَ للجَبَـــلُ المُـــشْمَخِـــــــ ـــرُّ لي بل لقومِك بل للعـــرب

وتكررت بعض الأوصاف التي أطلقها الشاعر على ممدوحه سيف الدولة في عدد من الروميات لما فيها من فخامة وعلو وجزالة ومنها : القرم ، الجبل ، سيف الهدى ، سيف الدين ...

وشاعت في العتاب ألفاظ التودد التي نبعت من قلب أبي فراس لتصل قلب سيف الدولة ، يقول في إحدى رومياته(٣) :

فقُولا لَهُ من أصـــدقِ الـــودِّ إنّـــني جعلتُكَ مما رابـــني الـــدَّهْرُ مَفْزَعَـــا

ولـــو أنّـــني أكننتُـــه في جـــوانحي لأوْرَقَ مـــابينَ الـــضُّلوعِ وفرَّعَـــا

---

(١) الديوان : ٣٢/٢ .

(٢) الديوان : ٢٦/٢ .

(٣) الديوان : ٢٤٨/٢ .

فقوله : أصدق الود ، أكننته ، جوانحي ، لأورق ، الضلوع ، كلمات تناسب موقفه المستعطف وفيها رقة وجمال .

وفي شعر الشكوى والحنين تتردد ألفاظ الرقة والحنان ، ولعل الآلام المبرحة التي ألمت بالشاعر فجرت في قلبه جراحاً غائرة ؛ زادت رقة شعره رقةً وعذوبته عذوبةً ولعل المقطعات الشعرية التي ناجى بها الليل والنجوم والحمامة والعيد دليلٌ واضح على هذه السمات .

وأما الإخوانيات فإنها إلى جانب رقتها وعذوبتها ، فإنها تتسم بالوضوح التام وكأنها رسالة نثرية صيغت في قوالب من الشعر ، لتنقل الشحنات العاطفية من فؤاد الخليل إلى خليله ، وأوضح مثال : رسالته الشعرية التي بعث بها إلى أخيه أبي الفضل وهو في الأسر وقد أوردتها سابقاً ومنها[1] :

تقول : " غداً آتي " ولو كنتَ راغِبــاً لطالَ عليكَ اللّيلُ وهــو قَـصِيرُ

ويتراوح غزله بين البداوة في مقدماته الطللية والعذوبة والرقة في مقطعاته الشعرية، ومنها تلك التي استحسنها الصاحب بن عباد حين سمعها .

وتكتظ أبيات الرثاء بكلمات الحسرة والألم لتفيض بمشاعر القريب الفاقد ، والابن المحب ، كما في رثائه لأمه وماينضح به من الألفاظ الرقيقة اللينة .

وأما الهجاء فإنه يستعين عليه بالألفاظ الساخرة المقذعة – وإن كانت هابطة المستوى – لينال من خصمه مثل :الكلب – الحمير – العلج – التيوس – يابن استها...

(١) الديوان : ٢/ ٢١٥ .

ومما مر يتبين أن لغة أبي فراس تمتاز " بحسن اختيار الألفاظ وجمال التعبير ؛ ففيها الجزالة وشدة الأسر في موضع الشدة ، وفيها الرقة والسهولة في موضع الحنو "(١) ونلمح السهولة في التراكيب فيما مر من شواهد ، فلا نكاد نجد بيتاً معقداً بل إن مايجول في نفس أبي فراس يقذفه لسانه دون التواء أو محاولة لصنعه و لم أجدني في حاجة إلى شرح بيت واحد في دراستي هذه كلها .

وهناك ملامح أخرى في الألفاظ والتراكيب أدركت منها مايلي :

* الألفاظ الموحية فالشاعر يستعين بها – أحياناً – لينقل مايكنه صدره ومثال ذلك: " تُقَلْقِلُها " التي توحي بعمل تلك الذكريات الحزينة في نفس الأم الفاقدة(٢) :

إذا اطمأنَّتْ وأينَ ؟ أو هدأتْ ... عَنَّتْ لها ذُكْرةٌ تقلقلها

وكلمة " ليذهلها " التي أوحت بمنظر كامل مفعم بالمشاعر اليائسة والكئيبة يوقدها الشوق إلى الحبيب الوحيد(٣) :

قولا لها إن وَعَتْ مقالَكُمَا ... وإنَّ ذكري لها لَيُذْهِلُهَا

وكلمة " نُزَلْزِلُها " ومافي تكرار حروفها من إيحاء بالمعاناة البالغة الحد في مصارعة الحياة في تلك الزنزانة الصخرية(٤):

ياواسِعَ الدَّارِ كيفَ توسِعُها ... ونحنُ في صخرةٍ نزلزلها

---

(١) شاعر بني حمدان : ١٧١ .

(٢) الديوان : ٣٣١/٣ .

(٣) الديوان : ٣٣١/٣ .

(٤) الديوان : ٣٣٣/٣ .

ومثل مامضى " تتعتعت " " يقلقله " " أصيحابي " في قوله[(١)] :

وأعلمُ قوماً لو تَتَعْتَعْـــتُ دونهـــا   لأجهضني بالذم منـــهم عـــصائبُ
قريحُ مجاري الدَّمعِ مُسْتَلَبُ الكرى   يقلقله هَمٌّ من الــشَّوق نَاصِـــبُ
وقال أصيحابي الفرارُ أو الــردى   فقلتُ هُمَا أمرانِ : أحلاهُمـــا مُـــرُّ

وقد علق الدكتور زكي مبارك على البيت فقال : " ومارأيت كلمة صُغِّرَتْ كما صغرت في هذا الموطن كلمة " أصيحاب " فإن لم يكن الوزن هو الذي قضى بذلك ، فأبو فراس إذاً من أبصر الشعراء بصياغة الكلام[(٢)]

* وقد قلّت عند أبي فراس الكلمات الغريبة بشكل واضح ، مما جعل شعره ينزع إلى السهولة والوضوح لايكتنفه الغموض ، كما هو الحال عند بعض معاصريه من الشعراء ، ويعلل ذلك جورج غريب فيقول : " ولرغبته في أن يجعل شعره موحياً بإحساسه ، قل استخدام الألفاظ الغريبة عنده ، حتى لاتقف عثرة بينه وبين قارئه ، ولكنه أحياناً لايجد بداً من استخدامها فترى كلمة ... " زراوِر " جمع " زوار " بمعنى البطريق وغير ذلك ، ولكنني لا أنكر أن التوفيق خانه في استخدام الألفاظ والأساليب مثل كلمة (أدنى) بمعنى أقرب في قوله[(٣)] :

أما أنا أعلى مـــن تَعُـــدُّونَ هِمَّـــةً   وإن كُنْتُ أدنى من تَعُدُّونَ مَوْلِـــدا

---

(١) الديوان : ٢/٣١،٢١٣ .
(٢) الموازنة بين الشعراء : ٣٢٧ .
(٣) الديوان : ٢/٨٥ .

في بعض الروايات ، لأنها توحي بمعنى الانحطاط ، ولعل الذي دفعه إلى استخدامها كلمة أعلى (١) .

* أسلوب التكرار في الألفاظ والتراكيب ، ولهذا الأسلوب دواعيه عند الشاعر فإنه حين يكرر كلمتي (أنت) و (خطب) في البيت التالي (٢) :

وأنتَ ، وأنتَ دافعُ كلِّ خَطْبٍ مع الخطبِ المُلِمِّ عليَّ خَطْبُ

فإنه أراد إثبات حكمه على سيف الدولة فأكد (أنت) الأولى بالثانية ، وأوحى تكراره كلمة (خطب) ثلاث مرات في بيت واحد بمدى التوجع وفداحة الخطب على قلبه بعتاب سيف الدولة له هذا العتاب المر الذي جاء في وقت كان الحال يقتضي عكسه .

ويعد التكرار ظاهرة في الروميات لكثرته ، وخاصة في المواقف التي يكون فيها محزوناً أشد الحزن ، فهو يتحدث عن قلب مفطور ، يستمر على نغمة واحدة حتى يفرغ شيئاً كبيراً مما يعتمل في صدره ، من مشاعر آسفة لاتملك إلا البكاء ، ثم يلتفت أحياناً إلى نغمة أخرى لتستمر في لسانه مدة أخرى .. وهكذا

" فقد كان موت أم الشاعر وهو في الأسر مما ضاعف لوعته وأحزانه ، فأخذ يكرر مخاطبة أمه ومناجاتها (بأم الأسير) وكأنما أصابه مس لفداحة رزئه حين حل بها الموت وهو بعيد عنها ، وهو يكرر ندبه ليشركك معه في حزنه بهذا الخطاب المختار ، وإنك لحزين معه على أم اشتاقت إلى ولدها الأسير ، فاستحال الرجوع وعز اللقاء ،

(١) أبو فراس– كتاب جورج : ٩٤ .
(٢) الديوان : ٢/٢٨ .

فماتت شوقاً إليه ، وحزناً عليه "[1] وقد كرر أبو فراس عبارته " أيا أم الأسير سقاك غيث " ثلاث مرات واستمر في ندائه في الرابعة ، وكرر " ليبكك كل " أربع مرات متوالية ، كما كرر بعدها مباشرة (أيا أماه كم) ثلاث مرات .

ونرى مثل هذا في قصيدة أخرى ينادي فيها أمه (يا أمتا) ثلاث مرات متوالية ، ولهذا التكرار دوره في استنفاد الطاقة الشعورية التي يضرمها بداخله الحنين ، والشوق المتوقدان .

وحين يهزه الحنين إلى (بني حمدان) يكرر السلام عليهم أربع مرات[2] :

اقرا السَّلام مــن الأســير العــاني ... اقرا السَّلام على (بــني حمــدان)
اقرا السَّلام على الــذينَ ســيوفُهُم ... يومَ الــوغى مهجــورةُ الأجفــانِ
اقرا السَّلام علــى الــذينَ بيــوتُهُمُ ... مأوى الكــرامِ ومــترلُ الــضيفانِ

ويخاطب بني عمه وكأنه يستجوبهم شيئاً يريدون إنكاره ليقتحم عليهم نفوسهم ويبصرهم بعاقبة خذلانهم له في أسره ، ولاشك أن التكرار في مثل هذا الموضع يؤثر في النفوس الحية ؛ حيث يطرق عليها أبوابها علها تستجيب[3] :

وإنَّ رِجَالاً ما ابنُهم كــابنِ أُخْــتِهِم ... حَرِيُّونَ أن يُقْــضَى لَهُــمْ ويُهَــابُوا
فَعَنْ أيِّ عُــذْرٍ إن دُعــوا ودُعيــتُم ... أبيــتم بَــني أعمامِنــا وأجــابُوا
بني عَمِّنا مايصنعُ السَّيفُ في الــوغى ... إذا فَــلَّ منــه مَــضْرِبٌ وذُبــاب

---

(١) فنون الشعر : ٢٩٩ .
(٢) الديوان : ٤١٠/٣ .
(٣) الديوان : ٢٣/٢ .

بني عَمِّنـا لاتنكـروا الـوُدَّ إنَّنـا … شدادٌ على غـيرِ الهـوانِ صِـلابُ
بني عَمِّنا نحـنُ السَّواعِدُ والظُّبـا … ويوشِكُ يوماً أن يكـونَ ضِـرَابُ

وهناك تكرار من نوع آخر ، هو تكرار الاستفهام ، حتى يصل إلى غاية المعنى ، فلا يكاد يذر منه بقية ، ومنها تلك الأسئلة المتتابعة التي قرع بها على نفس سيف الدولة باها ، وحملت معها انفعاله الشديد الذي ألم به حين رد الأمير أم الأسير خائبة ..

تلكَ المودات ُكيف تهملُها ؟ … تلك المواعيدُ كيف تغفلُها ؟
تلك العقودُ ... كيف تحللُها؟ .. أين المعالي التي ؟ ياواسع الدار كيف توسعُها؟
ياناعمَ الثَّوبِ كيف تبذِلُه[(١)]

ويظل ينهال عليه بالاستفهامات المتتابعة كأنما يريد منه أن يقر بذنبه وتقصيره ..

وفي رثائه لابن أخته تواردت عشر استفهامات في أربعة أبيات وكان العاشر خاتمها ، ويتضح من هذا الأسلوب أن الشاعر قد استطاع أن يستغل مافي الاستفهام من قدرة على إستثارة المشاعر وتشويق يشد القلوب إلى الإجابة المنتظرة ولكنه يخفيها ليترك للذهن أن يأخذ مداه في التفكير فيها حتى يصل إلى أعظم مايتصوره[(٢)] .

يامن أتَتْـهُ الرَّزايـا غـيرَ حافلـة … أينَ العبيدُ ؟ وأينَ الخَيْلُ والخَـوَلُ ؟
أينَ اللُّيُوثُ الَّتي حَوْلَيْـكَ رابـضةٌ؟ … أينَ الصنائعُ ؟ أينَ الأهلُ ؟ مافعلوا ؟
أينَ السيوفُ التي يحميكَ أقطعُهـا؟ … أينَ السَّوابقُ ؟ أينَ البيضُ والأسَلُ ؟

---

(١) الديوان : ٣/٣٣٢ – ٣٣٣ .
(٢) الديوان : ٢/٢٧٦ .

ياويحَ خالِكَ بَلْ ياويحَ كُـلِّ فـتى ... أكُلٌّ هذا تخطىًّ نحوكَ الأجَلُ ؟

إلى غير ذلك من مواضع التكرار الكثيرة ، التي لم نر فيها أثراً للركاكة أو الضعف بل كانت خادمة للمعنى وبريداً للشاعر من قلب الشاعر إلى قلوب سامعيه .

* أسلوب الحوار :

وظهر في الروميات أسلوب الحوار الجذاب وكان أعلاه ماحوته الرائية الشهيرة(١) :

تسائلُني من أنتَ ؟ وهـي عليمـةٌ ... وهلْ بفتىً مثلي على حالهِ نُكْـرُ

فقلتُ كما شاءَتْ وشاءَ لها الهوى: ... (قتيلُكِ) قالتْ: (أيُّهُمْ ؟ فهم كُثْرُ)

فقلتُ لها : (لو شـئت لم تَتَعَنَّتي ... ولم تسألي عنِّي وعندكِ بي خُبْـرُ)

فقالت:(لقد أزْرَى بكَ الدَّهْرُ بعدَنا) ... فقلتُ :(معاذَ اللهِ بلْ أنتِ لاالدَّهرُ)

وماكانَ للأحزانِ –لولاكِ– مَسْلَكٌ ... إلى القلبِ لكنَّ الهوى للبِلى جِسْرُ

وقوله(٢) :

وقال أُصَيْحابي الفرارُ أو الـردى ... فقلتُ : هُمَا أمرانِ أحلاهُما مُـرُّ

ومن غير الرائية قوله(٣) :

---

(١) الديوان : ٢ / ٢١٠ – ٢١١ .

(٢) الديوان : ٢١٣/٢ .

(٣) الديوان : ٨١/٢ .

يقولونَ : جَنِّبْ عادةً ماعرفتــها شديدٌ على الإنسانِ مالم يُعَــوَّدِ
فقلتُ : أما واللهِ لاقالَ قائــلٌ: شهدتُ له في الحربِ ألأمَ مشهدِ
ولكن ســألقاها ، فإمــا منيَّــةٌ هي الظَّنُّ ، أو بنيانُ عزٍّ مُوَطَّــدِ

* أسلوب النداء :

جرى في أسلوبه في بعض قصائده وخاصة في المقدمات الغزلية على أسلوب النداء الذي يلفت انتباه السامع ويعطي الأبيات حيوية أكثر من جمودها على السرد أو السير على نسق معين،وكثيرا مااستخدمه لنداء صاحبيه المتخيلين ليحملهما رسائله إلى أهله وأصحابه.

فمن نداءاته في غير المقدمة الغزلية قوله(١) :

يا أيُّها الراكبانِ هَــلْ لَكُمَــا في حملِ نجوى يَخِفُّ مَحْمَلُهــا
قولا لها إن وَعَــتْ مقالَكُمــا وإنَّ ذكــري لهــا ليــذهِلُها

وقوله(٢) :

ألا ياصَــاحِبَيَّ تَــذَكَّراني إذا ماشِمْتُمَا البَرْقَ الــشآمي
إذا مالاحَ لي لَمَعَــانُ بَــرْقٍ بعثتُ إلى الأحِبَّــةِ بالــسَّلامِ

ومن المقدمات الغزلية قوله(٣) :

ياواقفانِ معي على الدَّارِ اطلبــا غيري لهــا إن كُنتُمــا تقفــانِ

---

(١) الديوان : ٣/٣٣١ .
(٢) الديوان : ٣/٣٧٥ .
(٣) الديوان : ٣/٤٠٧ .

وقوله[١]:

يـــاخليليَّ خَلّيـــانِي ودمعـــي   إنَّ في الدَّمْعِ راحـــةَ المكـــروبِ
ماتقولانِ في جهـــادِ مُحِـــبٍّ   وَقَفَ القلبَ في سبيلِ الحبيـــبِ

وقوله[٢]:

خليليَّ لِمْ لاتبكيـــاني صـــبابةً   أأبدلتُما بالأجرَعِ[٣] الفَرْدِ أجرَعَا

❁❁❁❁❁

* تأثره بالقرآن الكريم :

ظهر تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في بعض الأساليب التي استفادها منه مستغلاً قوتها ودقة تأديتها للمعنى المراد والأمثلة على هذا متعددة ومنها :قوله[٤]:

وباللهِ الدِّفاعُ وأيُّ سَهْمٍ   أحاولُ دَفْعَهُ واللهُ رَامِ

فإنه لابد ناظر إلى قوله تعالى : ﴿ومارميتَ إذ رميتَ ولكنَّ اللهَ رَمَى﴾[٥] .

---

(١) الديوان : ٢/٤٦ .
(٢) الديوان : ٢/٢٤٦ .
(٣) الأجرع : أرض صلبة لاتقبل الماء .
(٤) الديوان : ٣/٣٧٢ .
(٥) الأنفال : ١٧ .

وقوله[(١)] :

نشرَ الزمانُ عليه بعد أنيسة   حُللَ الفناء وكل شيء فـــان

فإنه استفاده من قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ من عليها فان ﴾ ... .

وقوله[(٢)] :

أُوصِيْك بالصَّبر الجميــــ   ــلِ فإنَّه خَيْــرُ الوصِــيَّه

فقد وصف القرآن الصبر بالجمال في عدد من آياته ومنها : ﴿ فصبر جميل ﴾[(٣)]

* أثر الثقافة الإسلامية في أسلوبه :

ظهرت تعبيرات إسلامية عن معان عامة في عدد من أبياته وأمثلته عديدة ومنها قوله[(٤)] :

لاتَـــيَمَّمْ والمـــاءَ تدركُـــهُ   غيرك يرضى الصُّغْرى ويَقْبَلُها

فقد استفاده من ثقافته الإسلامية ؛ حيث يعلم بها أن التيمم يبطل بوجود الماء

وقوله[(٥)]:

لمن جَاهَدَ الحُسَّادَ أجْرُ المُجَاهِدِ   وأعظمُ ماحاولتُ إرضاءُ حَاسِدِ

---

(١) الديوان : ٤٠٧/٢ .

(٢) الديوان : ٤٣٥/٣ .

(٣) يوسف : ١٨ .

(٤) الديوان : ٣٣٢/٣ .

(٥) الديوان : ٨١/٢ .

وكلمة (جاهد) من التعبيرات الإسلامية المحضه وتدل على بذل منتهى الجهد في عمل ما ، ولذلك استغل الشاعر هذا المعنى العظيم في تقوية بيته .

ويستغل الشاعر أيضاً المعنى الإسلامي المفهوم من كلمتي (الفرض والنافلة) ووجوب تقديم الأولى على الأخرى فيقول[(١)] :

لايَقْبَلُ اللهُ قَبْلَ فرضِــكَ ذا ... نافلـــةً عِنْــدَهُ تَنَفَّلُهَـــا

* تأثره بالشعراء :

يلمس القارئ فيما سبق من شعره في الفخر والحماسة أنه انطبع بأسلوب عنترة بن شداد ، وفيما يلي أشير إلى تأثره بمعاصره (المتنبي) :

يقول أبو فراس[(٢)] :

كذاك الوَدَادُ المحض لايرتجى لــه ... ثواب ولايخشى عليه عقـــابُ

فلعله ناظرٌ في ذلك إلى قول المتنبي الذي يضمنه قصيدته بعد البيت السابق مباشرة فيقول[(٣)] :

وما أنا بالباغي على الحُبِّ رَشْوَةً ... ضَعيفُ هوى يبغي عليه ثَوَابُ

(١) الديوان : ٣/٣٣٢ .

(٢) الديوان : ٢/٢٤ .

(٣) الديوان : ٢/٢٤ وفي ديوان " أبي الطيب المتنبي " بشرح " أبي البقاء العكبري " ضبط وتصحيح : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي ، الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م - مكتبة ومطبعة / مصطفى البابي الحلبي - مصر ١/١٩٩ ، انظر اليتيمة : ١/٩٥ .

والمحقق يذكر أن الشاعر لم يضمن البيت قصيدته وإنما دسه النساخ فيها .

وبيت أبي فراس أجود .

" ومن الغريب أن تأتي بعض أبيات الشاعرين متفقة في معانيها وألفاظها وفي بحرها ورويها ، ومن ذلك قول أبي فراس مخاطباً سيف الدولة[١] "[٢] :

إذا نلتُ منكَ الوُدَّ فالكلُّ هَـــيِّنٌ وكُلُّ الذي فوقَ التُّرابِ تُرَابُ

ولعل هذا من تداخل الشعر لأنهما معاصران لبعضهما .

٢- اللغة البديعية :

لاشك أن اللغة البديعية من مظاهر الأسلوب عند الشاعر ، ولكن الحديث عن اللغة البديعية عند أبي فراس له سمة خاصة .

إذ " كان شعر أبي فراس طبيعياً لايقصد فيه إلى الزينة قصداً يضحي من أجلها بوضوح الفكرة ، أو جلاء المعنى ، ومن أجل هذا لاتحس بتكلف فيما يأتي به من صناعة لفظية تعرض له ، ولاتكاد تتبين هذه الصناعة إلا إذا وقفت تتلمسها تلمساً "[٣] ولاغرابة في ذلك ؛ فلو تذكرنا الظروف السيئة التي أحاطت بشاعرنا ، لاستطعنا أن نعرف سر عزوفه عن الصنعة البديعية بمعناها المتكلف فــ" أبو فراس يكتوي بنار الغربة، ويذوق آلام الأسر في بلاد الروم ، فيرسل الشعر غناء حزيناً يذوب رقة حيناً ،

---

(١) الديوان : ٢/٢٥ ، وديوان المتنبي : ١/٢٠٠ .

(٢) انظر حياته وشعره : ٣٤٦ .

(٣) شاعر بني حمدان : ٨٨ وانظر : ٨٩ – ٧١ .

ويقذف بالحمم ويفيض بالغضب حيناً آخر ، فهل ياترى ذلك المقام يتلمس فيه الشاعر البديع ، ويجري وراءه كما يفعل الشعراء الخليون الوادعون ، الذين لايشغلهم جد الحياة والشعور بهمومها عن ترف البديع وألاعيب الصناعة اللفظية ؟

ولئن ورد البديع في مثل هذه المواقف ، إنما يرد زاخراً بالحيوية ، متضامناً مع سائر مقومات الأسلوب في تصوير الشعور "[١].

والتفكير في معالي الأمور ، وتمجيد البطولة والفخر بها ، والاشتغال بقضايا كبيرة، كل ذلك مما جعل أبا فراس " يعجل عن التفكير في طرائف البديع وملحه ، إلى تصوير ما في نفسه من المعاني التي تجيش بها النفس وتضطرم بها الجوانح ، فلاتكلف ولاتصنع ، وإنما هي الفطرة الزاخرة والشعور الحي يتدفق تدفق السيل المنحدر ، لاتكبله أغلال البديع التي تكبل من لايحس في نفسه قوة العاطفة وفيض الشعور ، وإذا جاء شيء من البديع في شعره فإنما يجيء عفواً كما كان يأتي لدى الأقدمين المطبوعين "[٢] وأحاول بعد هذه المقدمة اليسيرة أن أتلمس مواطن الصيغ البديعية الرائعة التي صدرت عن شاعرنا المطبوع في رومياته .

*** الطباق :**

تنوع الطباق عند أبي فراس فقد يطابق بين اسمين كقوله[٣] :

صبُورٌ على طيِّ الزَّمَـانِ ونـشرِه ... وإن ظَهَـرَتْ للـدَّهْرِ فيَّ نُـدُوبُ

طابق فيه بين كلمتي (طيّ) و (نشر) .

(١) الشعر في ظل سيف الدولة : ٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٣ .

(٣) الديوان : ٢/٤٨ .

وقد يطابق بين فعلين كقوله[(١)] :

تُمسِكُ أحشاءها على حُـرَقٍ تُطْفِئُهَـا والهُمُـومُ تُـشْعِلُها

طابق فيه بين كلمتي : (تطفئها) و (تشعلها) .

وقوله وقد عدد الطباق[(٢)]:

لم يجهلِ القومُ مِنْهُ فَضْلَ مـاعرفُوا لكنْ عَرَفْتُ من التَّسليم مـاجهلوا

وقوله[(٣)] :

ولقدَ وقفـتُ فـسرَّني ماسـاءني فيهِ وأضـحكني الـذي أبكـاني

وقد يطابق بين الفعل والاسم كقوله[(٤)] :

وغابَ حبيبُ قلبكِ عـن مكـانٍ ملائكـةُ الـسماءِ بـه حـضورُ

فطابق بين : (غاب) و (حضور) .

وقد يجمع بين بعضها فيقول[(٥)] :

فليتَـكَ تحلُـو والحيـاةُ مَريـرَةٌ وليتَك ترضى والأنـامُ غِـضَابُ

حيث طابق بين : (تحلو) و (مريرة) وبين : (ترضى) و (غضاب) .

---

(١) الديوان : ٣/٣٣٠ .

(٢) الديوان : ٢/٢٧٥ .

(٣) الديوان : ٣/٤٠٧ .

(٤) الديوان : ٢/٢١٧ .

(٥) الديوان : ٢/٢٤ .

وهكذا نرى أن الطباق عند أبي فراس لم يأت متكلفاً مقحماً على المعنى أو أنه أثقل البيت وألجأ الشاعر إلى غير مايريد ، بل جاء في خدمة المعنى .

* المقابلة :

وتبدو المقابلة عند أبي فراس - كسائر الفنون البديعية - غير متكلفة وكأنها خرجت في شعر أبي فراس لتعبر عن المعنى الذي لايتأتى بدونها فجاءت حسنة المخرج في حلة أنيقة زادت من جمال الأبيات وخدمت معانيها ومن أمثلتها[1] :

- وعيشُ العالمينَ لـديكَ سَـهْلٌ　　وعيشي وحـدَه بفنـاكَ صَـعْبُ
- فمثلُكَ من يُدعى لكلِّ عظيمـةٍ　　ومثليَ من يُفْدَى بكُلِّ مُـسَوَّدِ[2]
- فمن حُسْنِ صَبْرٍ بالسَّلامةِ واعِدي　　ومن ريبِ دهرٍ بالرَّدى مُتَوَعِّدي[3]

ويجمع بين مقابلتين في بيت واحد فيقول :

أيضحكُ مأسـورٌ وتبكـي طليقـةٌ　　ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالِ[4]

* الجناس :

وهو قليل في الروميات وجاء من الجناس غير التام :

فمن الجناس (اللاحق) قوله[5] :

---

(١) الديوان : ٢/٢٨.
(٢) الديوان : ٢/٧٨ .
(٣) الديوان : ٢/٢٨ .
(٤) الديوان : ٣/٣٢٤ .
(٥) الديوان : ٢/١٩٠ .

جنى جانٍ وأنت عليــه حــانٍ فعادَ فَعُدْتَ بــالكرمِ الغزيــرِ

وقوله(١) :

من كــانَ مِثْلِــيَ لم يَبِــتْ إلا أســـيراً أو أمِيْـــرَا

حيث جانس بين (جان) و (حان) وبين (أسيرا) و (أميرا) وهناك بعد في المخرج بين الميم واللام ، والجيم والحاء ، والسين والميم ولذا سمي (لاحقاً) .

ومن الجناس الناقص قوله(٢) :

ولقد رأيت السَّبْيَ يُجْـــ ــلَبُ نحونَا حُواً وحُــورَا

جانس بين : (حواً) و (حورا) ويسمى الجناس (المذيل) .

ومن جناس الاشتقاق قوله(٣) :

شريتُكَ من دهري بذي النَّاس كُلِّهِمْ فلا أنَا مَبْخُوسٌ ولا الدَّهْرُ باخِسُ

ومَلَّكْتُك الــنَّفْسَ النَّفِيْــسَةَ طَائِعــاً وتُبْذلُ للمولى النُّفوسُ النَّفَــائِسُ

وكما رأينا، فإن الجناس يبدو حلية بديعة ونغماً موسيقياً عذباً و لم يأسر المعنى في غلالته .

---

(١) الديوان : ٢/٢٠٩ .

(٢) الديوان : ٢/٢٠٨ .

(٣) الديوان : ٢/٢٣٥ .

* حسن التقسيم :

ومنه وصفه لحاله في الأسر(١) :

جراحٌ تحاماها الأُساةُ مَخُوفَةٌ وسُقْمَانِ : بادٍ منهما ودَخيلُ

وقوله يحدد هدفه من حروبه وغزواته(٢) :

ولكن سألقاها فإما منيَّةٌ هي الظنُّ أو بنيانُ عزٍّ موطَّدِ

وهل من سقم ثالث، أو من غاية ثالثة؛ إنه التقسيم الرائع الذي يستوفي المعنى ولاعيب فيه.

* الترصيع :

وفيه يظهر الجمال اللفظي الذي ينبع من صميم المعنى ومن أمثلته قوله(٣) :

أما لجميلٍ عندكُنَّ ثواب ولا لمسيءٍ عندكُنَّ مَتَابُ

واستمع إلى هذا البيت الذي زاده الترصيع جمالاً ومعنى ورقة وجرساً(٤) :

فلا بالشامِ لَذَّ بِفِيَّ شُرْبٌ ولا في الأسْرِ رَقَّ عليَّ قلبُ

ويستعين أبو فراس بالترصيع في التأكيد على النعم التي ينالها من سيف الدولة فيعددها :

– وإنَّكَ للمولى الذي بكَ أقتدي وإنَّكَ للنَّجمُ الذي بِكَ أهتدي(٥)

– وزنديَ وَهْوَ زندُكَ ليس يَكبو وناري وهي نارُكَ ليس تخْبُو(٦)

(١) الديوان : ٢/٣١٣ .

(٢) الديوان : ٢/٨١ .

(٣) الديوان : ٢/٢٢ .

(٤) الديوان : ٢/٢٨ .

(٥) الديوان : ٢/٨٠ .

(٦) الديوان : ٢/٢٨ .

ومنه قوله :

فلا وأبي لاساعدانِ كساعدٍ ولا وأبي ماسيِّدانِ كَسَيِّدِ[١]

* الموازنة :

وقد ظهر هذا النوع من البديع اللفظي في روميات أبي فراس وكان له " طلاوة ورونق ، وسببه الاعتدال ، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان "[٢] وأمثلته كثيرة ومنها :

– فحزنِيَ حزنُ الهائمينَ مُبَرِّحًا وسِرِّيَ سِرُّ العاشقينَ مُضَيَّعَا[٣]

– لإسماعيلَ بي وبنيهِ فخرُ وفي إسحاقَ بي وبنيه عُجْبُ[٤]

– ولا سابقٌ مما تَخَيَّلْتُ سابقٌ ولا صَاحِبٌ مما تَخَيَّرتُ صَاحِبُ[٥]

ولايخفى مافي الموازنة من جمال وقيم موسيقية ، إلى جانب صلتها الوثيقة بالمعنى .

* رد الأعجاز على الصدور :

وهذا الفن البديعي اللفظي كثير في شعر أبي فراس وجاء في الروميات بعدد لابأس به ، وجاء في اللفظين المكررين بنفس المعنى بأنواعه الأربعة :

---

(١) الديوان : ٨٠/٢ .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح الموصلي – تحقيق : د.أحمد الحوفي وَ د. بدوي طبانه مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٤هـ– ١٩٣٥م،ص : ١١١.

(٣) الديوان : ٢٤٦/٢ .

(٤) الديوان : ٢٨/١ .

(٥) الديوان : ٣٢/٢ .

١ – مايكون أحد اللفظين المكررين في آخر البيت الثاني في صدر المصراع الأول كقوله :

عليلـــةٌ بالـــشَّامِ مفـــردةٌ ... باتَ بأيدي العِدَى معلِّلُها(١)

٢ – مايكون أحد اللفظين المكررين في آخر البيت والثاني في حشو المصراع الأول كقوله :

– فإن سألنَا ســواكَ عَارِفــةً ... فبعدَ قطعِ الرَّجاءِ نَــسْألُها(٢)

٣ – مايكون أحد اللفظين المكررين في آخر البيت والثاني في آخر المصراع الأول كقوله :

– ياناعِمَ الثّوبِ كيفَ تبدلُــه ... ثيابُنا الــصُّوفُ مانُبَــدِّلُها(٣)

– ولاأطلبُ العوراءَ منهم أصــيبُها ... ولاعــورتي للطَّــالبينَ تُــصَابُ(٤)
– من كان من كُلِّ مفقودٍ لنا بدلاً ... فليسَ منه على حالاتــه بَــدَلُ(٥)
– فلستُ أرى إلا عدُوّاً مُحَارِبــاً ... وآخرُ خيرٌ منهُ عندي المُحاربُ(٦)
– أبكي بدمعٍ لهُ من حسرتي مــددٌ ... وأستريـــحُ إلى صَبْرٍ بلا مــدَدِ(٧)

(١) الديوان : ٣/٣٣٠ .
(٢) الديوان : ٢/٣٣٣ .
(٣) الديوان : ٣/٣٣٣ .
(٤) الديوان : ٣/٢٣ .
(٥) الديوان : ٢/٢٧٥ .
(٦) الديوان : ٣/٣٣٠ .
(٧) الديوان : ٢/٧٠ .

٤ – مايكون أحد المكررين في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الثاني كقوله[(١)] :

وما أدَّعي مـــايعلمُ اللهُ غـــيرَهُ رِحَابُ عليٍّ للعفـــاةِ رِحَـــابُ

ومنه مايكون اللفظان ملحقين بالمتجانسين يجمعهما الاشتقاق وأحدهما في آخر البيت والثاني في صدر البيت[(٢)] :

أُلامُ على التَّعَـــرُّضِ للمنايَـــا ولي سَمْعٌ أصَمٌّ عـــن المـــلامِ

❁❁❁❁❁

٣ – الصور والأخيلة :

اعتمد أبو فراس في تعبيراته البيانية على الخيال الجزئي – غالباً – من استعارة ، وتشبيه ، وكناية ، ولم تظهر عنده صور شعرية كثيرة أو لوحات فنية معقدة ، لذلك يمكنني أن أقول : إنه ذو خيال مقيد " ولم يكن للخيال الطليق أن يتسرب إلى حياة أبي فراس وهو المقيد بقيود العاطفة ، فكان عليه أن يجيب دواعي الأحداث التي هزت تلك الحياة ، فضاقت أمامه المشارف[(٣)] " واستسلامه إلى العاطفة المطلقة جعل في خياله ضيقاً ، فلم ينفسح له مجال التصوير والتزيين ، فقد كان يصف حالته في الأسر كما

---

(١) الديوان : ٢/٢٤ .

(٢) الديوان : ٣/٣٧٤ وانظر هذا التقسيم في كتاب علم البديع د.عبدالعزيز عتيق دار النهضة العربية – بيروت ١٩٧٤م : ٢١٥ – ٢١٦ .

(٣) أبو فراس – كتاب جورج غريب : ٩٤ .

يحسها ويشعر بها لا كما تجسمها المخيلة ، وتوسعها ، وكان يصف الحروب ، ويذكر الوقائع دون أن يلجأ إلى الخيال لتلوينها وتعظيمها - فعل المتنبي - فصوره الخيالية قصيرة الخطا ، قريبة المدى ، ولكنها لطيفة محببة "[1] وحين تأملت في رومياته وجدته يهتم بالصور النفسية ؛ أعنى بها تلك التي يرسم فيها الشاعر مايحدث داخل النفس البشرية ، وربما تظهر آثاره على الأفعال الخارجية ، وأضرب على هذا ثلاثة أمثلة لندرك براعة أبي فراس في استجلاء النفس الإنسانية ورصد حركاتها ، ثم في قدرته الشعرية حين يقربها إلى الأذهان بصوره البيانية :

أولاها : تلك الصور النفسية الحية التي رسم فيها الشاعر أمه العليلة وهي (تمسك أحشاءها على حرق) " تحاول إطفاءها بالصبر .. لكن الهموم المتواترة تشعلها كل يوم وكل لحظة ، فكيف لايأتيها الروع ، ومن أين للأم هدأة الروع ؟ مادامت موصولة الأمشاج بآخر أمل لها في الحياة ، وآخر شعاع في عينيها الذابلتين الكسيرتين والأمل والشعاع بعيدان .. أسيران .. [2]

إذا اطمأنَّتْ وأينَ ؟ أو هدأتْ   عَنَّتْ لها ذِكْرَةٌ تُقَلْقِلُها

ويمضي أبو فراس في انسيابية الكيان والوجدان ، بل في تلفتهما الحائر يصور حال أمه ، وتنقلها بين (منبج) و (حلب) على الطريق الوعر ، تسأل عن ولدها كل رائح وغاد هاتفة بدموعها ضارعة بيديها "[3]

---

(١) أدباء العرب في الأعصر العباسية – بطرس البستاني طبع سنة ١٩٧٩م دار مارون عبود : ٣٧٥/٢ – ٣٧٦ .

(٢) الديوان : ٣٣٠/٣ .

(٣) أبو فراس فتوة رومانسية : ١٥٥ .

تسأل عنا الركبـان جاهـدة ... بـأدمع مـا تكـاد تمهلـها
يامن رأى لي بحصن خرشـنة ... أسد الشرى في القيود أرجلها
يامن رأى لي الدروب شـامخةً ... دون لقـاء الحبيـب أطولهـا
يامن رأى لي القيـود مثقلـةً ... على حبيب الفـؤاد أثقلـها[(١)]

إنها تعبيرات حرى كأنها تتفجر من قلب أم عانت أشد ماتعانيه أم على فقد وحيدها ، بل إن السامع أو القارئ ليكاد يشك أن يكون المتحدث هو أبو فراس ... ويكاد يجزم أنه نقلها عن لسان أمه وأنها قالتها على الحقيقة ، وهنا تبدو براعة الشاعر كيف استطاع أن يستبطن شخصية أمه المفجوعة ، وأن يتحدث بلسانها عن مشاعرها فأخرج صورة كاملة لما يعتمل في نفسها وكأنه يراها .

وصورة أخرى يلتقطها أبو فراس لأحد الحاقدين عليه[(٢)] :

ومُضْطَغِنٍ لم يحمـل الـسِّرَّ قلبُـه ... تَلَفَّتَ ثُمَّ اغتـابني وهـو هَائِـبُ
تـردَّى رِداءَ الـذُّلِّ لَّمـا لَقِيتُـه ... كما تَتَـردَّى بالغبـارِ العَنَاكِـبُ

إنها صورة لرجل مضطرب قد حُمِّل قلبه مالايطيق من حسد لأبي فراس على فضائله وسجاياه ، فحار السر في قلبه ، ولم يستطع أن يقيم فيه ، ولكن أين يبوح به ، فإذا به يتلفت حوله وكأنه يريد أن يأمن على نفسه من سطوة الأمير أبي فراس ثم ألقى أحقاده واغتاب أبا فراس ونَفسُه وجِلَةُ ، ونَفَسُه يتقطع هيبة من مغتابه وحين يواجهه إذا بالخزي والذل يكسوانه ، وبئس ما اكتسى به ، وهل ينفع العنكبوت بيتها وكأن أبا

(١) الديوان : ٣٣١/٣ .
(٢) الديوان : ٣١/٢ .

فراس قد استعار الصورة الأخيرة من قول الله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتخذتْ بيتاً وإنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لو كَانُوا يعلمون﴾ [1] وقد أحسن الشاعر استعارتها.

وهذا التردد الذي يسيطر على فؤاد تلك الظبية الخائفة ، وهي تقف على فُوَّهَةِ واد واسعة تقبل عليها حيناً وتجفل حيناً آخر ، كأنها تنادي ولدها الذي أعجزه الجري عن أن يلحق بها ، وهي صورة لحبيبته المجهولة التي يناديها وهي بين الأمن والخوف ، في تردد بين الإقبال والجفول ، إنها صورة بارعة التقط الشاعر عناصرها من صميم بيئته ومن مظاهر الطبيعة حوله [2] :

كأنّي أُنادي – دونَ ميثاءَ – ظبيـــةً ... على شَرَفٍ ظمياءَ جَلَّلَهـــا الـــذُّعْرُ

تَجَفَّـــلُ حينـــاً ثم تـــدنُو كَأنَّهـــا ... تُنادي طَلاً بالوادِ أعْجَـــزَهُ الحَـــضْرُ

(١) العنكبوت : ٤١ .

(٢) الديوان : ٢/٢١١ .

التشبيه :

وتشبيهات أبي فراس فيها الجديد والتقليدي ، والتقط بعضها من البيئة ومظاهر الطبيعة من حوله ، ويستعين بها على رسم صوره التعبيرية :

– هاهو يصور نفسه مع أهله بالبدر الذي لاتعرف قيمته إلا حين يفتقد[١] :

سيذكُرني قومي إذا جَدَّ جــدهم وفي الليلة الظلماءِ يفتقــد البــدرُ

– وهذه التشبيهات البليغة التي صور فيها ترابط سيف الدولة برجاله وعلى رأسهم أبو فراس[٢] :

أنتَ سَمَاءٌ ونحــنُ أنجمُهــا أنتَ بلادٌ ونحــنُ أجْبُلُهــا
أنتَ سَحَابٌ ونحنُ وابِلُــه أنتَ يمــينٌ ونحــنُ أنمُلُهــا

– ومن التشبيهات المنتزعة من البيئة هذا التشبيه التمثيلي ، الذي صور فيه الدمستق في صورة (كريكاتورية) مضحكة ، حين فر هارباً من جيوش سيف الدولة[٣] :

تركناكَ في بطنِ الفَــلاةِ تَجُوبُهــا كَما انتفقَ اليربوعُ يلتــثِمُ التُّربَــا

– وله التشبيه الرقيق كقوله[٤] :

ثناءٌ طيِّبٌ لاخُلْــفَ فيــه وآثــارٌ كآثــارِ الغمــامِ

---

(١) الديوان : ٢/٢١٣ .

(٢) الديوان : ٣/٣٣٢ .

(٣) الديوان : ٢/٣٨ .

(٤) الديوان : ٣/٣٧٣ .

– وتظهر سمات الترف في أحد تشبيهاته فيشبه التئامه مع عشيرته بتمازج الماء والخمر فيقول(١) :

وحاربتُ قومي في هواكِ وإنَّهم ... وإيَّايَ لولا حُبُّكِ الماءُ والخمرُ

– وألمح في تشبيه له جِدَّة حيث شبه الكلام الذي ليس له وزن عنده وقد مر بسمعه بطنين الذباب في حرِّ الهجير ولفح هوائه(٢) :

ورُبَّ كلامٍ مَرَّ فوقَ مسامعي ... كَمَا طَنَّ في لُوَحِ(٣) الهَجِيْرِ ذُبابُ

– هذا إلى غير ذلك من التشبيهات التقليدية التي استفادها الشاعر ممن قبله من الشعراء ومنها قوله(٤) :

وكثيرٌ من الرِّجال حديدٌ ... وكثيرٌ من القلوبِ صُخُورُ

وقوله(٥) :

وجردٌ كأمثالِ السَّعالي سلاهبٌ ... وخوصٌ كأمثالِ القِسيِّ نَجائِبُ

حيث شبه الحُصُن القصيرة الشعر بالسعالي الطويلة ، وهو يستعين بما هو معروف عند العرب من أن السعلاة – وهي أنثى الغول – قوية ذات أعمال خارقة في الفتك

(١) الديوان : ٢/٢١٠ .
(٢) الديوان : ٢/٢٣ .
(٣) لوح : هواء .
(٤) الديوان : ٢/٢٠٥ .
(٥) الديوان : ٢/٣١ .

والبطش ليصف خيوله بها ، وإن كانت السعلاة والغول من الحيوانات الوهمية وقد ورد مثل هذا في قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ

ثم يشبه الشاعر خيوله بالقسيِّ في ضمورها وسرعة سيرها .

– ومن التشبيهات السائرة قوله :

– لك جسمُ الهوى وثغرُ الأقاحي ونسيمُ الصَّبا وقَدُّ القضيبِ(١)

– وإن حاربوا كنتُ المِجَنَّ أمامَهم وإنْ ضاربوا كنتُ المُهَنَّدَ واليدا(٢)

– وهاأنا قد حَلَّى الزّمانُ مفارقي وتوَّجَنِي بالشَّيْبِ تاجاً مُرَصَّعَا(٣)

الاستعارة :

واتخذ أبو فراس من الاستعارة وسيلة تعبيرية رائعة ، جسد بها كثيراً من المعاني ، وجود بها أجمل الصور الشعرية وأبهاها ..

– فقد أورق الحب بين ضلوع أبي فراس وتسامقت فروعه(٤) :

ولو أنَّني أكننتُه في جوانحي لأوْرَقَ مابينَ الضُّلوعِ وفَرَّعا

(١) الديوان : ٤٥/٢ .
(٢) الديوان : ٨٥/٢ .
(٣) الديوان : ٢٤٧/٢ .
(٤) الديوان : ٢٤٧/٢ .

- واستحالت كلمات صديقه إليه رياضاً غناء حين غذاها فكرُهُ بغيثه المعطاء[١] :

كـلَّ يـومٍ يهـدي إليَّ رياضـاً ... جادَها فكـرُهُ بغيـثٍ سَـكُوبِ

- ويجسد الهوى حين يضمه الليل بين جوانحه السوداء فيجعل لهواه يداً طولى ثم يذرف دموعه السخينة - التي لم تعرف الذل - ثم يجسد الشوق فيجعله ناراً تذكيها الصبابة والفكر اللذان أخذا منه كل مأخذ[٢] :

إذا اللَّيلُ أضواني بسطتُ يَدَ الهَوى ... وأذللتُ دَمْعاً من خلائقه الكِبْـرُ

تكادُ تضيءُ النَّارُ بـينَ جَـوانحي ... إذا هِيَ أذكتْهَا الـصَّبَابَةُ والفِكـرُ

والحق أن استعاراته المكنية تشي بقدرة وبراعة في تجسيد الأمور المعنوية ؛

- فالموت كأنه الذئب الظاميء إلى الدماء ، وقد كشر عن أظفاره وأنيابه[٣] :

وأبطـأ عَنِّـي والمنايـا سَـريعةٌ ... وللموتِ ظُفْرٌ قَدْ أطَـلَّ ونَـابُ

- وللدهر شأن عجيب مع أبي فراس فإنه لايقابله إلا بوجه قطوب ينذره بأحداث أشد قساوة مما أراه من قبل[٤] :

لَقِيتُ من الأيَّـامِ كُـلَّ عجيبـةٍ ... وقابلني دهـري بِوَجـهِ قطـوبِ

(١) الديوان : ٢/٤٦ .

(٢) الديوان : ٢/٢٠٩ - ٢١٠ .

(٣) الديوان : ٢/٢٤ .

(٤) الديوان : ٢/٣٥ .

– وعهود سيف الدولة حين كثرت ولاطائل من ورائها أصبحت ثياباً بالية لارجاء من ورائها ولانفع[(١)] :

يُـــذكِرُنا بَعْـــدَ الفِـــراقِ عُهُـــودَهُ وتلكَ عُهُودٌ قـــد بلـــينَ رثائِـــثُ

الكناية :

وجاءت الكنايات الحسنة في رومياته دليلاً آخر على شاعريته ، فهو يستخدمها في رومياته ليكنى عن الفضائل وغيرها وتتسم بالمبالغة المقبولة ، تعانقها الاستعارة لتكون الصور الجمالية الرائعة :

– كنى الشاعر عن قوته الجسمية ، فهو طويل القامة ، واسع مابين المنكبين ليدل على شجاعته[(٢)]

متى تخْلُفُ الأيَّامُ مثلي لكمُ فـــتى طويلَ نَجَادِ السَّيْفِ رَحْبَ المُقَلّـــدِ

– وفي موضع آخر يكني عن إسرافه في سفك دماء اعدائه من الروم بكناية أبلغ من التصريح[(٣)] :

يَمُنُّونَ أن خلَّـــوا ثيـــابي وإنَّمـــا عليَّ ثيابٌ مـــن دمـــائِهِمُ حُمْـــرُ

– ويكني عن سهره في أسره ، وكرمه في قومه ، وشجاعته التي تعرفها الرماح والسيوف فيقول[(٤)] :

---

(١) الديوان : ٥٦/٢ .

(٢) الديوان : ٧٩/٢ .

(٣) الديوان : ١١٣/٢ .

(٤) الديوان : ٣٢١/٣ .

يرعـــى النُّجُـــومَ الـــسَّائِرا ت من الطُّلُـــوعِ إلى الأُفُـــول
فَقَـــدَ الـــضُّيُوفُ مَكَانَـــه وبَكَـــاهُ أبْنَـــاءُ الـــسَّبيل
وتَعَطَّلَـــتْ سُـــمْرُ الرِّمـــا حِ وأُغْمِدَتْ بِـــيضُ النُّـــصُول

– ويكني عن ضمور بطون خيله وطولها ليدل على أنها أصيلة فيقول[(١)] :

ولطالما قدتُ الجيـــادَ إلى الـــوغى قُبَّ البطونِ طَويلَـــةَ الأرســـانِ

وهناك عدد آخر من الكنايات تدل كلها على شاعرية فذة تسخِّر هذه التعبيرات البيانية بقدرة ودقة فائقتين للتعبير عن معان مضمرة وأخرى حسية في الكناية عنها جمالٌ وفضل بيان .

❁❁❁❁❁

٤– الإيقاع :

ولهذا العنصر المهم من عناصر الشعر أثره الكبير في نقل مشاعر أبي فراس للسامع في رومياته ؛ حيث تتنوع موسيقاه الخارجية والداخلية بحسب الظرف والغرض لتعكس مايدور داخل نفس الشاعر ذاته .

ولو تتبع السامع روميات أبي فراس من الناحية الموسيقية لوجدها نغمات حزينة – في غالبها – وخاصة شعر الشكوى والحنين والرثاء .

---

(١) الديوان : ٣/٤٠٩ .

- وأحياناً تتحول إلى موسيقى فخمة لها أثرها ودويها في النفوس ، وتشد إليها الأسماع بإيقاعها الشديد ، وأكثر ماتكون في الحماسة والفخر .
- وتترع إلى الصخب حين يكون الغرض هو الهجاء حيث تعلو فيه الموسيقى وتشتد.
- وفي الغزل والإخوانيات تكون الموسيقى هادئة عذبة كأنها نسمات الصبا .
- وتضطرب موسيقاه حين يمزج المديح بالعتاب - كما هي عادة أبي فراس - فتراها تشتد وتقوى ثم تخف وتلين ثم تعود إلى القوة ... وهكذا ..

وقد مر في الدراسة الموضوعية أمثلة كثيرة على ماذكرت .

الموسيقى الخارجية :

الأوزان :

ذهب بعض الباحثين في القديم والحديث إلى أن للأوزان الشعرية وتحديد البحر صلة بغرض القصيدة وخصوا كل بحر بمعان تكثر فيه ، والحق أن هذا لم يكن واضحاً في روميات أبي فراس - كما رأيت - تمام الوضوح ، فقد نظم الشاعر في غرض الرثاء أربع قصائد في البسيط والسريع والوافر ، وفي شعر الشكوى نظم في الخفيف ، ومجزوء المتقارب ، والسريع ، والطويل ، ومجزوء الكامل ، والمنسرح والوافر ، ومجزوء الرمل ، فهذه ثمانية بحور في غرض واحد ..

غير أنني لحظت أنه في شعر الفخر والمديح ينظم في ثلاثة بحور فقط هي : الطويل وهو أكثرها وبلغ عشر قصائد ، ثم الوافر ومجزوء الكامل نظم في كل منهما اثنتين ويمكن أن نقول هنا : إن إكثاره من الطويل في هذين الغرضين يدل على ارتباط معاني

الفخر والمديح بالبحور ذات النفس الطويل ، والتي تساعد على جعل الموسيقى فخمة وقوية ، وتتسع عادة لتلك المعاني الكبيرة والصيحات المجلجلة .

ولكني مع هذا لا أستطيع أن أجعل هذا حكماً مطرداً يشمل شعر أبي فراس كله ، فقد ظهر في شعر المديح والفخر عنده قبل أسره بحور أخرى كالخفيف والمنسرح والبسيط والمتقارب والرجز ..

وهذا يدل على عدم اطراد هذه الأحكام التي تحاول الربط بين الأغراض والبحور، وإن كنت أرى أنه لامانع من ذلك إن وجدت علاقة واضحة لاتحتاج إلى إقحام وتعسف ، وهذا ماسنراه في مثال من الروميات بعد قليل ..

القافية :

وللقافية دورها أيضاً في موسيقى الشعر ، وذلك لأنها تضيف " لوناً من الموسيقى الظاهرة إلى القصيدة ، فهي القرار الذي ينتهي إليه كل بيت ، فتحدث مع الوزن وحدة موسيقية في القصيدة "(١) وقد كانت القوافي في الروميات من القوافي الذلل ، مثل الباء والدال والراء واللام ؛ وفيها جمال لسهولة مخارجها وموسيقيتها ؛ فللباء موسيقى شديدة تجاوبت مع بعض المقاطع الشعرية التي اتسمت بالشدة أحياناً كالعتاب الشديد .

وللدال إيقاع خاص له أثر القرع في قلب السامع وقد أكثر الشاعر منها .

والراء تحمل من القيم الموسيقية والغنائية العذبة ماجعلها جديرة أن تصاحب أجمل روميات أبي فراس .

وصحبت الهاء الممدودة اللام في قصيدة " ياحسرةً ما أكادُ أحملها " فكانت مجالاً للتنفيس

---

(١) أبو فراس حياته وشعره : ٣٩٣ .

عن نفس مكروبة فجعت بأحب أمنية لديها ، وهي الفداء ، وأهينت في أكرم مخلوق حي لديها وهي أمه ، فانطلقت تلك القافية الممدودة وكأنها زفرات حارة تطلق الآه بعد الآه :

ياحسرةً ماأكـــادُ أحمِلُهـــا آخرهـــا مـــزعِجٌ وأوَّلُهـــا
عليلـــةٌ بالـــشآمِ مُفْـــرَدَةٌ باتَ بأيدي العِدا مُعَلِّلُهـــا

وفي قصيدة أخرى جاءت هاء السكت مع الياء وكأنها زفرات مخنوقة يحملها نفس كلما أراد الانطلاق حبسته المصيبة[1] :

لولا العَجُوزُ بِمَنْبِجٍ لم أخْشَ أسبابَ المنِيَّهْ
ولكانَ لي عَمَّا سألْـــــــ ــــتُ منَ الفدا نفسٌ أبيَّهْ
لكنْ أردتُ مُرادَهَا ولو انْجَذَبْتُ إلى الدَّنِيَّهْ

وكثرت عنده القوافي المطلقة ، وقلت المقيدة ، ولكل منها موسيقى خاصة .

الموسيقى الداخلية :

وهي التي " تصدر عن قدرة الشاعر على اختيار الكلمات المناسبة والنظام الذي تتعاقب فيه ، إلى جانب ما في الكلمات من تلاؤم بين حروفها وحركاتها "[2] وقد برزت هذه الموسيقى في بعض الروميات بشكل واضح مما يشهد لأبي فراس بأذن

---

(١) الديوان : ٣/٤٣٣ – ٤٣٤ .

(٢) حياته وشعره : ٤٠١ .

موسيقية دقيقة تلمس بإحساسها الرقيق العلاقات بين الحروف والكلمات مع بعضها في البيت الواحد ، وضمن المعنى العام للقصيدة .

ولنضرب مثالاً على ذلك يقول أبو فراس[1] :

(١) زمـــاني كُلُّـــهُ غَـــضَبٌ وعتـــبُ   وأنـــتَ علـــيَّ والأيَّـــامُ إلـــبُ
(٢) وعـــيش العـــالمينَ لـــديكَ ســـهلٌ   وعيشي وحـــدَهُ بِفِنَـــاكَ صَـــعْبُ
(٣) وأنتَ –وأنتَ دافعُ كُلِّ خطـــبٍ –   مع الخطبِ المُلِـــمِّ عَلـــيَّ خَطْـــبُ
(٤) إلى كَمْ ذا العتـــابُ ولـــيس جُـــرْمٌ   وكم ذا الإعتذارُ ولـــيسَ ذنْـــبُ

وقد تضافر في هذه القصيدة عدد من القيم الموسيقية أدت إلى غلبة الطابع الموسيقي عليها رغم ظهور الطابع الشعوري فقد كثرت فيها كلمات الغضب التي عبّرت عن شعور الشاعر مثل : غضب ، عتب ، إلب ، صعب ، خطب ، جرم ، ذنب ... وقد وفق الشاعر في اختيارها لتناسب مشاعره الثائرة ، بل إن جرس حروفها يساعد على إبراز هذه الناحية الشعورية من خلال موسيقاها الهادرة ونغمها السريع .

وبرزت في هذه القصيدة – أيضاً – أنواع كثيرة من البديعيات التي تحمل قيماً موسيقية أخرى من مقابلة وطباق وترصيع أشرت إليها قبل ، أضف إلى ذلك تكرار بعض الحروف والكلمات كالباء في البيت الأول ، وكلمة (خطب) في البيت الثالث.

وفيما يلي مثال على النواحي الموسيقية التي ذكرتها سابقاً في رومية أخرى بعثها الشاعر إلى سيف الدولة رداً على عتابه المر الذي صدم به مشاعره صدمة عنيفة ،

---

(١) الديوان : ٢٨/١ .

فجاءت قصيدته هذه مزيجاً من القيم الشعورية الحرى التي تغذيها موسيقى داخلية وخارجية أدت إلى سموها وتأثيرها في النفوس [(١)] :

١- أسيفَ الهُدَى وقَرِيعَ العرب	علامَ الجَفَاءُ ؟ وفِيمَ الغَضَبْ ؟
٢- ومابالُ كُتْبكَ قد أصْبَحَتْ	تَنَكَّبُني معَ هذي النُّكَبْ ؟
٣- وأنتَ الكريمُ ، وأنتَ الحليم	وأنتَ العطوفُ ، وأنتَ الحَدِبْ !
٤- علاً تُستَفَادُ وعافٍ يُفَادُ	وعِزٌّ يُشَادُ ونعمى تُرِبْ
٥- وماشكَّكَتْنِيَ فِيكَ الخُطوبُ	ولاغَيَّرتنِيَ فيكَ النُّوَبْ
٦- وأسكُنُ ماكُنتُ في ضجرتي	وأحلمُ ماكنتُ عندَ الغضبْ
٧- وكنتَ الحبيبَ وكنتَ القريبَ	ليالِيَ أدعوكَ من عنْ كَثَبْ

فمن حيث الوزن فإن المتقارب إيقاعاته خاصة ؛ لاتكاد تقرأ تفاعيله حتى تنشدها، وساعدت هذه التفعيلات على صبغ النص بالصبغة الموسيقية السريعة أحياناً ، كما في البيتين الأول والثاني ، والهادئة المنغمة في البيتين الثالث والرابع ..

كما أن قافية الباء جاءت مقيدة لتنهي كل بيت بإيقاع موسيقيٍّ حادٍّ ، يدعوك للبيت التالي مباشرة ، فلا مجال لمد الصوت بالقافية الأولى ، ودعا هذا إلى السرعة في انطلاق الأبيات وتتابعها ، وظهور نبرة حسنة في نهاية كل بيت، وتجانس الحروف وتلاؤمها في مثل البيت الثاني أعطاه موسيقية شديدة ونجح الشاعر في اختيار الكلمات التي تحمل معانيه الغاضبة المستعطفة في آن واحد

فللغرض الأول : الجفاء ، الغضب ، تنكبني ، الكرب ، يقرعني ...

وللغرض الآخر : الكريم ، الحليم ، العطوف ، الحبيب ، القريب ...

(١) الديوان : ٢/٢٦ – ٢٧ .

وأدت هذه الكلمات دورها أيضاً في شحن النص بالموسيقى الهادرة حيناً والهادئة حيناً آخر .

وللترصيع في هذا النص جماله وبهاؤه ، وساعد بوضوح على إضفاء قيمة موسيقية عليه ومنه : (علا تستفاد) ، و (عافٍ يفاد) ، و (عز يشاد) .

والتكرار في بعض الكلمات ينغم البيت ، وتصبح له رتابة في السمع يهش لها ويطرب؛ ومنه تكرار (وأنت) أربع مرات في البيت الثالث ، (وكنت) مرتين في البيت السابع ، وللتكرار قيم موسيقية ترفد المعنى وتخرج النص مخرج الجمال والقبول لدى النفس، وقد مرت مواضع كثيرة للتكرار يمكن استجلاء قيمها الموسيقية بمجرد قراءتها.

وقد برزت في بعض الأبيات موسيقى ناشئة عن تلاؤم الحروف وتجانسها ومن ذلك قول الشاعر[1] :

فاتراتٌ ، قواتــلٌ ، فاتنــاتٌ   فاتِكاتٌ سهامُها في القلــوبِ

فقد لاءم بين التاء ، وبعض الحروف ذات الجرس ، والتنوين فأعطى البيت نغمات كأنها تصدر عن أوتار عودٍ تداعبها أنامل بارعة في العزف .

وفي قوله[2] :

بين قُــرْبٍ مُــنَغَّصٍ بــصدودِ   ووصـــالٍ مُــنَغَّصٍ برقيــبِ

لاءم بين الصاد والقاف والغين فأحدثت هذه الحروف ضجيجاً في البيت واضطراباً موسيقياً يناسب حالة الشاعر المضطربة وتعكس صراعاته النفسية .

واستغل أبو فراس مافي المد من قيم موسيقية تحمل معها شحنات شعورية لا يمكن أن يخرجها من صدره غيره ، ولعل قصيدته التالية خير مثال على ما أقول ؛ حيث كان

(١) الديوان : ٢/٤٥ .

(٢) الديوان : ٢/٤٦ .

المدّ هو العنصر الموسيقي البارز عليها ، حتى غدت القصيدة به تشبه النياحة على فقيد عزيز يطيل فيها المفجوع ولولته وعويله عليه[1] :

هل تعطفان علـــى العليـــل لا بالأســـير ولا القتيـــل

باتَـــتْ تُقَلِّبُـــهُ الأكُـــفُّ ســـحابةَ الليـــل الطَّويْـــل

يرعـــى النُّجُـــومَ الـــسَّائرا تِ من الطُّلوعِ إلى الأفـــول

ففي هذه الأبيات الثلاثة فقط أكثر من اثني عشر مداً وفي القصيدة من التحسر ماتنضح به الأبيات .

(١) الديوان : ٣/٣٢١ .

الخاتمة

ها أنا ذا أصل إلى نهاية هذا البحث الذي أفادني وأمتعني بما حوى من أحداث عجيبة هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة .. ولو أردنا أن ننسج قصة من عالم الخيال وأردنا أن نرسم لبطلها صورة لرجل عصفت به الأحداث منذ نعومة أظفاره إلى أن لاقى حتفه .. فهل سنصل إلى الصورة التي رسمتها حقائق التاريخ للشاعر الأمير أبي فراس ؟

.. غلام يولد في بيت إمارة وملك ، وفجأة يموت الوالد فينشأ الغلام يتيماً في حجر أم ولدٍ رومية لاعشيرة لها ، وما إن يشتد عوده حتى يقذفه ابن عمه في لجة الموت يصارع أمواجها العاتية من كل جانب ؛ فتارة مع القبائل المغيرة ، وأخرى مع الرومان حتى يقع أسيراً في أيديهم .. فتبدأ محنة جديدة .. حين يتخلى الأهل والأصحاب عن الأسير ، ويذرونه يكابد الأحداث الجسام وحده ، حتى وقع الفداء بعد أربع سنين من العذاب والهوان والحرمان .. ويخرج .. ولكن إلى أين ؟ .. إلى الموت ..

وهذا البحث مفيد لي وممتع - أيضاً - بما حوى من محاولات أبرزت بعض القيم الجمالية والفنية في أروع ماقاله أبو فراس وهي الروميات التي شدا بها في أسره ، ونالت شهرة عالية في عالم الأدب والشعر .

وفيما يلي إجمال لأهم نتائج البحث :

- أثبت بالنص التاريخي وتفنيد الآراء المعارضة أن مسقط رأس أبي فراس هو مدينة (منبج) وليس (الموصل) .
- أوضحت أثر تشيعه على رومياته - رغم قلته - حيث عرض ببعض الصحابة كخالد وعمرو رضي الله عنهما .
- عرضت لآراء النقاد القدماء والمحدثين الذين وازنوا بين المتنبي و أبي فراس منتصرين لأحدهما على الآخر ، وخرجت بأن لكل منهما ميدانه الذي سبق فيه صاحبه ، ولاداعي للتعسف بالانتصار لأبي فراس على أمير الشعر العربي المتنبي ولاداعي أيضاً لاستنقاص شاعرية أبي فراس ، والغض من مكانته وإخفائها في غمرة الإشادة بالمتنبي .
- في قصة أسره ، رجحت أنه أسر مرة واحدة سنة ٣٥١هـ وأنه لبث في أسره أربع سنوات .
- حاولت أن أتلمس الأثر الذي تركه الأسر في شعر أبي فراس مستعيناً بآراء بعض النقاد وهذا الأثر تمثل في هذه الجودة التي اتسمت بها الروميات ، وبروز عدد من الموضوعات التقليدية في أثواب جديدة ، وتوقد العاطفة - نتيجة لضغوط الأسر - الذي أثر على نتاج الشاعر .
- في الأغراض الشعرية : ربطت بين المديح والعتاب لتلازمهما عند الشاعر في رومياته وأوضحت الأسلوب الذي اتبعه في الجمع بينهما في غاية من الروعة والاتساق.

وفي غرض الغزل أبرزت الغزل الرمزي الذي برز في مقدمات القصائد الرومية ، وحاولت أن أبرز سمات كل فن شعري في نهايته فبدت لي بعض أسرار تَفَوُّقِ هذه الروميات .

- في بناء القصيدة : أثبت عفوية الشاعر في اختيار الطريقة التي يسكب بها مشاعره وأنه غالباً لايخطط لرومياته فهي ومضات شعورية تواتيه فيسلكها درراً في عقد الشعر النظيم .
- بينما شكك بعض الباحثين في صدق الشاعر الفني أثبتُّه له لصدق تأثره بتجربته وتأثيره في السامعين وقدرته على نقل جميع عناصر التجربة إلينا .
- حاولت أن أوضح الوحدة الشعورية التي تنتظم أجزاء الرومية الواحدة حين فقدت الوحدة العضوية في أكثر قصائده وخاصة الطويلة منها .
- أثبت للشاعر أصالته التي تنضح بها رومياته سواء ماظهر في المضمون أو الشكل.
- أبرزت ظاهرتين في روميات أبي فراس وهما : دوران المعاني الإسلامية وكثرة الاستشهاد بحوادث التاريخ ، وحاولت أن أربط ذلك بثقافة الشاعر وقدرته على الاستنباط والربط .
- جليت أسلوبه الجذاب وأبرزت عدداً من أساليبه كأساليب التكرار والحوار والنداء .
- أوضحت اللغة البديعية التي ظهرت عند أبي فراس وكيف بعدت عن التكلف وخدمت المعنى وزادت الأبيات جمالاً وبهاء .
- أبرزت الصورة النفسية التي اعتنى بها أبو فراس وعرضت لخياله الجزئي الذي انتشر عنده .

- اجتهدت في (الإيقاع) أن أبرز القيم الموسيقية التي استعان بها الشاعر في التعبير عن مشاعره المتقلبة .

وختاماً .. الله أسأل أن يجعل هذه الدراسة انطلاقة لي في مجال البحث والاطلاع ..

والـــله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

تمت بحمد الله

المصادر والمراجع

١ - أبو فراس الحمداني - حياته وشعره - د.عبدالجليل حسن عبدالمهدي - مكتبة الأقصى - عمان الأردن الطابعون : جمعية عمال المطابع التعاونية - عمان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٢ - أبو فراس الحمداني " دراسة في الشعر والتاريخ - جورج غريب - نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٧٥م .

٣ - أبو فراس الحمداني - فتوة رومانسية - خليل شرف الدين - دار مكتبة الهلال - بيروت ١٩٨١م .

٤ - أخبار الزمان في تاريخ بني العباس - أو - كتاب الدول المنقطعة لابن ظافر الأزدي مخطوطة في " المتحف البريطاني " بلندن رقم ٣٦٨٥ " عن الديوان المحقق ".

٥ - الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت -لبنان - الطبعة السادسة ١٩٨٤م .

٦ - أدباء العرب في الأعصر العباسية - بطرس البستاني - دار الجيل - دار مارون عبود ١٩٧٩م .

٧ - أعلام الكلام - أو - رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني مطبعة النهضة بمصر ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م .

٨ - البداية والنهاية - لأبي الفداء ابن كثير - دار الفكر - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٩ - تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - راجعه د.شوقي ضيف - دار الهلال - ؟ .

١٠ - تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان - ترجمة د.عبدالحليم النجار - دار المعارف - القاهرة الطبعة الرابعة - ١٩٧٧م .

١١ - تاريخ الذهبي - " مخطوطة في المكتبة الأحمدية بحلب " رقم ١٢٢٠ " عن الديوان المحقق " (وماطبع منه لم يصل إلى حياة " أبي فراس " فيما يبدو لي حين بحثت عنه .)

١٢ - تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام " أبي القاسم محمد " إلى الدولة الأتابكية للشيخ المكين جرجيس بن أبي ياسر - طبعة " توماس الأربني " في ليدن عام ١٦٢٥م " عن الديوان المحقق " (بحثت عنه ولم أجده) .

١٣ - ديوان " أبي الطيب المتنبي " بشرح " أبي البقاء العكبري " ضبط وتصحيح : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي ، الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م - طبعة / مصطفى البابي الحلبي - مصر .

١٤ - ديوان " أبي فراس الحمداني " تحقيق د.سامي الدهان - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٤٥م .

١٥ - ديوان " البارودي " محمود سامي البارودي باشا - تحقيق وشرح : علي الجارم ، محمد شفيق معروف - دار المعارف مصر ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

١٦ – ديوان " الكناني " ويليه كتاب إيناس الجلاس بتشطير وشرح قصيدة " أبي فراس " للشيخ : أحمد محمد الكناني الأبياري – مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤هـ – ١٩٢٦م .

١٧ – الرمزية في الأدب العربي د.درويش الجندي – دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة ١٩٥٨م .

١٨ – روميات المتنبي – نبيلة إبراهيم – رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة : رقم ١٩٥٤/٢٧ عن كتاب : " أبو فراس الحمداني " حياته وشعره للدكتور عبدالجليل حسن .

١٩ – زبدة الحلب من تاريخ حلب – المولى الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد (ابن العديم) تحقيق د.سامي الدهان المطبعة الكاثوليكية – بيروت .

٢٠ – شاعر بني حمدان – د.أحمد أحمد بدوي ١٩٤٩م – ١٩٥٠م – مكتبة الأنجلو المصرية .

٢١ – شاعرية " أبي فراس " – نعمان ماهر الكنعاني – المطبعة : ؟ .

٢٢ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي دار المسيرة – بيروت – الطبعة الثانية .

٢٣ – شعر الصراع مع الروم د.نصرت عبدالرحمن – مكتبة الأقصى – عمان ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

٢٤ – الشعر في رحاب " سيف الدولة الحمداني " د.سعود عبدالجبار – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

٢٥ – الشعر في ظل سيف الدولة – د.درويش الجندي – ١٩٥٩م – مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٦ – صور جديدة من الأدب العرب – كامل كيلاني – مكتبة الآداب بالجماميز – مصر ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م .

٢٧ – علم البديع ، د.عبدالعزيز عتيق – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٧٤م .

٢٨ – العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني – صححه الأستاذ / محمد بدر الدين النعساني مطبعة دار السعادة – مصر ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م .

٢٩ – الفخر والحماسة – حنا فاخوري – دار المعارف – الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.

٣٠ – الفن ومذاهبه في الشعر العربي – د.شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – الطبعة التاسعة ١٩٧٦م .

٣١ – فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين د.مصطفى الشكعة – عالم الكتب – بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١م .

٣٢ – فوات الوفيات – محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق د.إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ١٩٧٤م .

٣٣ – الكامل في التاريخ – عز الدين ابن الأثير – دار صادر للطباعة والنشر – بيروت – ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

٣٤ – لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري طبعة مصوره عن طبعة بولاق .

٣٥ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد الموصلي – تحقيق : د.أحمد الحوفي وَ د. بدوي طبانه مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م .

٣٦ – مختارات البارودي – محمود سامي البارودي – دار العلم للجميع –بيروت.

٣٧ – المختصر في أخبار البشر أو أخبار الإسلام لأبي الفداء طبع في مصر عام ١٣٢٥هـ المطبعة الحسينية المصرية .

٣٨ – معجم البلدان – شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي – دار صادر – بيروت ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م .

٣٩ – معجم الشعراء – محمد بن عمران المرزباني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية .

٤٠ – الموازنة بين الشعراء – د.زكي مبارك – الطبعة الثانية – ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م – مطبعة البابي الحلبي – مصر .

٤١ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي – طبعة مصورة عن دار الكتب – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م – تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت .

٤٢ – " نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة " تأليف القاضي أبي علي المحسن التنوخي تحقيق عبود الشالجي المحامي ١٣٩١هـ – ١٩٧١م المطبعة :؟.

٤٣ – النقد التطبيقي والموازانات د.محمد الصادق عفيفي – مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

٤٤ - " هدية العارفين " أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا البغدادي - مطبعة وكالة المعارف - استانبول - أعادت الطبع بالأوفست : مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي بطهران - الطبعة الثالثة - ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ .

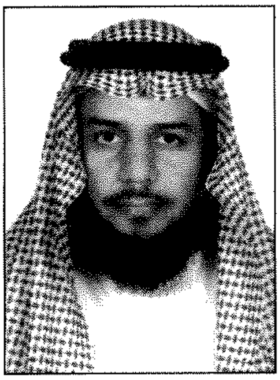
٤٥ - الوافي بالوفيات - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي باعتناء س - ديدرينغ دار النشر : فرانز شنانيز بفيسبادن .

٤٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان تحقيق د.إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ .

٤٧ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - أبو منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري تحقيق د.مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة



سيرة الكاتب

- د. خالد بن سعود بن عبد العزيز الحليبي .
- من مواليد الهفوف بالأحساء عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .
- دكتوراه في الأدب الحديث من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- أستاذ الأدب الحديث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- عضو مجلس إدارة نادي الأحساء الأدبي منذ إنشائه عام ١٤٢٨هـ.
- عضو مجلس إدارة المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامية العالمية في الرياض.
- عضو مجلس الإدارة للجمعية العلمية السعودية للأدب العربي بجامعة أم القرى.
- شارك في الصحافة متعاوناً مع بعض الصحف مثل جريدة اليوم، وجريدة عكاظ.
- نشر نتاجه الأدبي؛ شعراً ، ونثراً فنيًا ، ونقدًا في معظم الصحف السعودية وبعض الخليجية.
- له زاوية أسبوعية في جريدة اليوم السعودية كل يوم سبت، وزوايا أخرى في عدد من المواقع.
- قدم عددا كبيرا من البرامج الإذاعية والتلفازية عبر عدة سنوات.
- حصل على الجائزة الأولى للشعر الفصيح عام ١٤٠٠هـ من بيت الشباب بالأحساء. وعلى جائزة أبها للشعر العربي الفصيح عام ١٤١٢هـ(١٩٩٢م) عن ديوانه الأول (قلبي بين يديك). وعام ١٤٢٥هـ عن ديوانه الثاني (على جناح الغادية).
- كرم بأكثر من ثمانين درعا تذكارية، ونحو مائة شهادة تقديرية؛ على مشاركاته في خدمة المجتمع.
- مثل بلاده ثقافيا في عدد من العواصم العربية.
- قدم عددا من أوراق العمل الأدبية والاجتماعية في ندوات ومؤتمرات عديدة داخل المملكة وخارجها.
- قدم مجموعة من الدورات التدريبية في عدد من مدن المملكة وبعض الدول العربية.
- المشرف العام على موقع (المستشار) التابع لمركز التنمية الأسرية التابع لجمعية البر بالدمام.
- نائب المشرف العام على مركز التنمية الأسرية التابع لجمعية البر بالمنطقة الشرقية.
- مدير مركز التنمية الأسرية بالأحساء التابع لجمعية البر بالأحساء.

✹ من إصداراته الإبداعية والنقدية:

١. قلبي بين يديك – ديوان شعر.

٢. الشعر الحديث في الأحساء ١٣٠١هـ- ١٤٠٠هـ.

٣. أحمد بن علي آل الشيخ مبارك شيخ أدباء الأحساء في العصر الحديث في عيون معاصريه.

٤. على جناح الغادية (ديوان شعر).

٥. عمر بهاء الدين الأميري شاعر الإنسانية المؤمنة.

✹ العنوان: الأحساء: ٣١٩٨٢، ص ب: ٨٨٧٦، هاتف وفاكس: ٠٣٥٧٥٧٢٠٣

فاكس:٠٣٥٧٥٢٢٧٢،جوال: ٠٥٠٥٩٢٠٢٠٦،

البريد الإلكتروني :KHH40@YAHOO.COM،

موقع المستشار www.almostshar.com.

إصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبي

١- الإخوانيات في الشعر العباسي	د. محمد عثمان الملا	١٤١٢هـ
٢- تقاسيم على زوارق الأيام (شعر)	يوسف عبداللطيف أبو سعد	١٤١٢هـ
٣- إطلالة على مشارف الزمن	خليل إبراهيم الفزيع	١٤١٢هـ
٤- دليل نادي المنطقة الشرقية الأدبي	إعداد النادي	١٤١٣هـ
٥- قلبي بين يديك (شعر)	خالد بن سعود الحليبي	١٤١٣هـ
٦- الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية (جزءان)	عبدالرحمن عبدالكريم العبيد	١٤١٣هـ
٧- للدموع لغة أخرى (قصص)	فهد أحمد المصبح	١٤١٤هـ
٨- يا أمة الحق (شعر)	عبدالرحمن عبدالكريم العبيد	١٤١٤هـ
٩- دليل إصدارات الأندية الأدبية بالمملكة العربية السعودية	إعداد النادي	١٤١٤هـ
١٠- دارين الملف الدوري للنادي (العدد الأول)	إعداد النادي	١٤١٤هـ
١١- الخلاص (قصص)	محمد حمد الصويغ	١٤١٤هـ
١٢- مبادئ الإدارة والقيادة في الإسلام	د. محمد عبدالله البرعي	١٤١٤هـ
١٣- آفاق خليجية	عبدالله أحمد الشباط	١٤١٥هـ
١٤- قبيلة عبدالقيس	عبدالرحيم يوسف المبارك	١٤١٥هـ
١٥- دارين الملف الدوري للنادي (العدد الثاني)	إعداد النادي	١٤١٦هـ
١٦- تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية	تحقيق د. محمود فجال	١٤١٦هـ
١٧- تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية	د. زهير أحمد السباعي	١٤١٦هـ
١٨- الشاطئ يبتعد (شعر)	مصطفى حسن أبو الرز	١٤١٧هـ
١٩- فرائد الجرائد في الأمثال	تحقيق د. عبدالرزاق حسين	١٤١٧هـ
٢٠- الأدب المقارن	أ.د. عبدالحميد إبراهيم	١٤١٧هـ
٢١- شعراء حول الرسول صلى الله عليه وسلم	د. عبدالله محمد أبو داهش	١٤١٧هـ
٢٢- أناشيد الطفولة (قصائد للأطفال)	عبدالله الخالد	١٤١٨هـ
٢٣- وجهات نظر في الاقتصاد والسياسة	د. إبراهيم عبدالله المطرف	١٤١٨هـ

٢٤-	تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري (شرق الجزيرة العربية)	د. محمد ناصر الملحم	١٤١٨هـ
٢٥-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد الثالث)	إعداد النادي	١٤١٨هـ
٢٦-	حروف تبحث عن هوية	سعد البواردي	١٤١٩هـ
٢٧-	بحيرة العطش (قصص)	علي محمد الحبردي	١٤١٩هـ
٢٨-	العذاب الذي لا يموت (قصص)	خليل إبراهيم الفزيع	١٤١٩هـ
٢٩-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد الرابع)	إعداد النادي	١٤١٩هـ
٣٠-	رؤية جدية في مسيرة التعليم بالملكة خلال مائة عام	د. سعيد أبو عالي	١٤١٩هـ
٣١-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد الخامس)	إعداد النادي	١٤١٩هـ
٣٢-	عبدالقدوس الأنصاري: حياته وأدبه	د. نبيل عبدالرحمن المحيش	١٤١٩هـ
٣٣-	قيام المملكة العربية السعودية وبدايات نهضتها الحضارية	أ.د. محمد عبدالله السلمان	١٤٢٠هـ
٣٤-	دراسات ومقالات في الأدب العربي	د. حمد بن ناصر الدخيل	١٤٢٠هـ
٣٥-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد السادس)	إعداد النادي	١٤٢٠هـ
٣٦-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد السابع)	إعداد النادي	١٤٢١هـ
٣٧-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد الثامن)	إعداد النادي	١٤٢١هـ
٣٨-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد التاسع)	إعداد النادي	١٤٢١هـ
٣٩-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد التاسع)	إعداد النادي	١٤٢٢هـ
٤٠-	النهضة الأدبية في المنطقة الشرقية	عبدالله أحمد الشباط	١٤٢٢هـ
٤١-	تقولين (شعر)	محمود سعود الحليبي	١٤٢٢هـ
٤٢-	بحوث جمالية في الشعر الجاهلي	د. عبدالله خلف العساف	١٤٢٢هـ
٤٣-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد الحادي عشر)	إعداد النادي	١٤٢٣هـ
٤٤-	ظاهرة المخدرات وأثرها في مجتمع دول مجلس التعاون	أحمد خليفة الحمادي	١٤٢٣هـ
٤٥-	وشم على جار القلب (شعر)	خليل إبراهيم الفزيع	١٤٢٣هـ
٤٦-	دارين الملف الدوري للنادي (العدد الثاني عشر)	إعداد النادي	١٤٢٤هـ
٤٧-	الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري	مها بنت عبدالله الزهراني	١٤٢٤هـ

٤٨-	آخرون كانوا هنا (قصص)	حسين السنونة	١٤٢٤هـ
٤٩-	بوح (شعر)	محمد الجلواح	١٤٢٤هـ
٥٠-	ركلات ترجيح (شعر)	حسن السبع	١٤٢٤هـ
٥١-	وميض الأزمنة المتربة (قصص)	عبدالله الوصالي	١٤٢٤هـ
٥٢-	الأرض الوطن الحب الكبير (شعر)	علي أحمد النعمي	١٤٢٤هـ
٥٣-	الشعر الحديث في الأحساء	د. خالد الحليبي	١٤٢٤هـ
٥٤-	الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري (الطبعة الثانية)	مها بنت عبدالله الزهراني	١٤٢٤هـ
٥٥-	دارين الملف الثقافي للنادي (العدد الثالث عشر)	إعداد النادي	١٤٢٥هـ
٥٦-	نادي المنطقة الشرقية الأدبي خمسة عشرة عاماً من العطاء	إعداد النادي	١٤٢٥هـ
٥٧-	في دائرة الوعي	محمد حمد الصويغ	١٤٢٥هـ
٥٨-	حافلة الأحساء	حسن الشيخ	١٤٢٧هـ
٥٩-	دارين الملف الثقافي للنادي (العدد الرابع عشر والخامس عشر)	إعداد النادي	١٤٢٨هـ
٦٠-	دارين الملف الثقافي للنادي (العدد السادس عشر)	إعداد النادي	١٤٢٨هـ
٦١-	جنازة الغريب	عبدالله السفر	١٤٢٨هـ
٦٢-	انزلاق كعوبهم	إبراهيم الحسين	١٤٢٨هـ
٦٣-	العامية الفصيحة في لهجة أهل الأحساء	محمد إبراهيم آل ملحم	١٤٢٨هـ
٦٤-	لي ما أشاء	عبدالوهاب أبو زيد	١٤٢٨هـ
٦٥-	ومض في سديم العين	عماد العمران	١٤٢٨هـ
٦٦-	أبو فراس الحمداني في رومياته	د. خالد سعود الحليبي	١٤٢٨هـ

نادي المنطقة الشرقية الأدبي
ص.ب : ٨٤٣٨ الدمام ٣١٤٨٢
هاتف : ٨٤٣٣٧٣٧ / ٨٤٣٣٤٩٩٨
فاكس : ٨٤٣٤٧٨٥
E-mail: info@aladadi.org.sa
www.aladadi.org.sa

شعر أبي فراس

لشعر (أبي فراس الحمداني) مكانة مرموقة في الشعر العربي كله، ولا سيما (رومياته) التي صدح بها وزأر وهو أسير أعدائه، لما تمتاز به من موضوعات فريدة، ومعانٍ مبتكرة، وعاطفة جياشة.

ولم تزل بعض أبياتها تلامس سمع الزمان وقلبه منذ أن فاض بها لسان أبي فراس وجنانه حتى يومنا هذا، ومع ذلك لم تحظ بدراسة منفردة، وإنما جاءت ضمن بحوثٍ عامة للعصر العباسي أو لصاحبها أو لظواهر مختلفة كالغربة وشعر السجون والأسر ونحو ذلك. فجاءت هذه الدراسة محاولة لاستجلاء جمالياتها الموضوعية والفنية.

الباحث

مطابع الشركة الشرقية
الدمام هاتف : ٤٨٧١٤٠٤

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٧٨٥٥
ردمك : ٢ - ٤٠ - ٧٣٦ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨